

# إيضاحات

حول الزجر بالهجران

المؤلف: أبو عبد الرحمن الصومالي

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد :  
فإن من الحقائق المعلومة لدى جميع الأمم في القدم والحديث أكون الإنسان لا يقوم وحده وأنه في حاجة إلى "أمة" ينتمي إليها ويواليها ويشاركها في سرائها وضرائها. ثم إن معرفة الإنسان لهذه الحقيقة وإيقانه بصحتها اقتضت منه المحافظة على كيان أمته وبذل النفس والأموال في سبيل بقائها .

وقد كانت كتب الله التي أنزلها وأوجب اتباعها على البشر تتضمن بيان الصفة المختارة للأمة وشكل الحياة اللائق بيني الإنسان. وقد دعت كلّها البشرية إلى أن تفيء إلى توحيد الله وطاعته وأن تقوم حياتها فعلى ركيزتي "الإيمان بالله" و "الأخوة في الله" .

غير أن الإنسان لما ضل عن منهج الله للحياة، وظنّ أنه مستغن عن التلقي عن الله في شئون حياته، واعتمد على آراء الرجال وأفكارهم، صارت الآصرة التي تجمعهم هي الجنس والقبيلة والقوم والأرض والحرفة وما إلى ذلك مما لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله عزّ وجلّ. ولا يمثل خصائصه التي تفرّقه عن الحيوان.

ولما جاء الله بالإسلام وأرسل رسوله الأخير إلى كافة البشر وأنزل عليه كتابه الحكيم المشتمل على البيان الكامل للحقائق التي لا يستغني عن معرفتها الإنسان مهما ترقى في المدنية وتيسّرت له سبل الحياة المادية لما جاء الله بالإسلام .. جاء ببيان صفة "الأمة" المثالية اللائقة بالإنسان فجاء في القرآن قوله تعالى : ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَالَّذِينَ يَحْتَبِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْرِبُونَ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ [التوبة] .

وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح] .

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون].

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا.

إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان] .

هذه "الأمة" التي هذه صفتها هي الوحيدة التي تحمل الخير والفلاح لجميع البشر، وهي "الأمة" الوحيدة المفتوحة لجميع الأجناس والأقوام لأنها ليست مأوى لجنس من الأجناس ولا لقوم من الأقوام ولا للغة من اللغات ولا لبلد من البلاد، بل هي أمة يدخل في إطارها أهل الإيمان والإخلاص من كل جنس وقبيل في كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات] .

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران].

إن الأمة المسلمة الممثلة لحزب الله تتّصف بالإيمان بالله وعبادته وحده بلا شريك والبراءة من الشرك وأهله كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة].

ولذلك صار تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك وأهله شرطاً لاستحقاق العضوية في الأمة المسلمة، وامتنع أن ينال المشركون هذا الاستحقاق للعضوية وهم مقيمون على شركهم. لأنهم أعداء الله الملعونون من رحمته فاستحال أن يكون لهم في داخل حزب الله قدر ومكان. وإن من ارتدّ عن التوحيد ولوازمه فقد فقد عضويته في الأمة المسلمة في الحال.

وتتصف الأمة المسلمة الممثلة لحزب الله بالولاء لله ورسوله والمؤمنين. كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام]

وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة].

ولذلك صارت "موالاته أهل الإيمان" شرطاً لاستحقاق العضوية في الأمة المسلمة وامتنع أن ينال المنافقون هذا الاستحقاق للعضوية وهم مقيمون على نفاقهم، لأنهم صاروا أعداء الله الملعونين ولم يعد لهم في داخل حزبه المفلح قدر ومكان .

قال تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب] .

وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد] .

وقال: ﴿هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون] .

غير أن المنافق قد يُترك أحياناً في داخل الصفّ المسلم لمصالح للإسلام مرعية مثل الحالات الآتية:  
(١) إذا كان مستور الحال، لا يُعرف نفاقه كما قال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ .



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

(٢) إذا كان سيِّداً مطاعاً في قومه وفي تأليفه إسلام قومه. كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة].

(٣) إذا كان فيه ميل إلى استماع الحق وطلب العلم ويُرجى تحسُّن حاله، وأن يتَّعظ بمواعظ القرآن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء].

وعند ما يكون المنافق في الصف ليس معنى ذلك أنه من "الأمة" الممثلة لحزب الله، فالمنافقون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ لم يكونوا من حزب الله المفلح الذين قال الله عنهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وإنما كانوا من الذين قال عنهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. ولم يكونوا من "الصحابة" الذين يترضى عنهم المؤمنون إلى آخر الزمان.

أما إذا لم يكن في مثل هذه الحالات فقد حدّدت آيات "الأحزاب" كيفية التعامل معهم عند قوة المسلمين وشوكتهم.

وتتصف الأمة المسلمة الممثلة لحزب الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعلم أن لعنة الله تلحق بها إذا صارت مأوى للفساق وأهل البدع، وأقرّت المنكرات فيها، لأن الشرع يبيّن أن الله يلعن المحذّين ومن يؤويهم.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور]. وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ [المائدة].

وفي الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ قال: {لعن الله من أحدث أو آوى محدثاً}، {لعن الله من ذبح لغير الله}، {لعن الله من لعن والديه}، {لعن الله من غيّر منار الأرض}، {لعن الله السارق}، {لعن الله الواصلة والمستوصلة}، {لعن الله الذي وسمه}، {لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والحمولة إليه}، {لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه}.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وهذه الأدلة وغيرها تدلّ على أن الله يلعن من أحدث في الإسلام حدثاً وارتكب كبيرة، وأنه كذلك يلعن من يؤوي المحدث ويعاونه وهو على إثمه. ولذلك فإن الواجب الذي على الأمة المسلمة الحريضة على نيل رحمة الله وجنته والبُعد عن موجبات لعنته وغضبه. أن تعاقب المحدثين من الفساق والمبتدعة بالعقوبات التي يستحقونها في كتاب الله، وذلك عند ما تكون "الأمة" قوية قادرة على إقامة حدود الله .. أما قبل ذلك فيجب عليها أن تبغضهم في الله وتهجرهم حتى يُحدثوا توبة وانخلاعاً عن المعاصي والآثام.

هذا هو موقف الأمة المسلمة تجاه المحدثين من الفساق والمبتدعة فإذا أهملت واجبتها وأقرّت المنكرات فيما بينها وصارت مأوى للفساق والمبتدعة فسوف تلحق بها اللعنة التي لحقت ببني إسرائيل.

روى الترمذي: أن رسول الله ﷺ قال: {لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي هتتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم مع أنهم لم يرجعوا عن ضلالهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعضهم ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً}.

ومع وضوح صفات الأمة المسلمة في كتاب الله، ووضوح شروط الاستحقاق للعضوية فيها، ووضوح كون الله ورسوله حرباً على أهل البدع والفجور. كما قال تعالى في المتعاملين بالربا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ مع وضوح الكامل لهذه القضايا في كتاب الله يكون من العجب ظهور من يستنكر ويردّ على شرعية مقاطعة وهجران أهل الفساد والريب صيانة للأمة من الانحلال والردة إلى الجاهلية، محتجاً بتحريم هجران المسلم فوق ثلاث. أو يعتبر الهجران نوعاً من الظلم وانعدام الرحمة والنصيحة، أو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان.

ولكي تتبين أبعاد هذه القضية الجزئية، ويزول ما أثارته من تساؤلات في بعض الأوساط كتبتُ هذه الرسالة بعنوان {إيضاحات حول الزجر بالهجران} والله الموفق للصواب .. وهو يهدي إلى صراطٍ مستقيم والحمد لله رب العالمين .

محرم : ١٤٢٤ هـ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

إن الحدود والتعازير التي شرعها الإسلام إنما شرعت لما فيها من مصالح للعباد في الدّين والدّنيا. وإذا نظرت إلى العقوبات الشديدة المعروفة بالحدود الستة تجد أنّها وضعت لتحقيق المنافع ودرء المفاسد:

فحدّ الردّة وهو القتل شرع لحفظ الدّين .. ولولا ذلك لأظهر من شاء ردّته ولصارت الردّة دعوة مفتوحة إلى الضلال

وحدّ القتل للقصاص شرع لحفظ النفس ولولا ذلك لاجترأ الناس على سفك دماء الأبرياء، ولذاقوا بسبب ذلك ويلات الحروب التي لا تهدأ أبداً

وحدّ الزنا- الرجم أو الجلد- شرع لحفظ الأنساب والأعراض ولولا ذلك لأظهر أهل الدعارة الزنا ولأضلّوا العباد بما يزينون لهم من منكرات .

وحدّ السرقة لحفظ الأموال ولولا ذلك لأظهر السراق السرقات فصاروا قدوة لغيرهم في الظلم والفساد.

وحدّ القذف -ثمانون جلدة- شرع لحفظ الأعراض المصونة حتى لا يجترأ أحد على القذف فيعمل بعمله السفهاء والضعفاء .

وحدّ الخمر -أربعون إلى ثمانين جلدة- لحفظ العقل حتى لا يجترأ أحد على إظهار شرب الخمر فيعمل بعمله آخرون. وكذلك العقوبة الصارمة الرادعة لأهل الحراة وقطاع الطرق وضعت لحفظ دماء المسلمين وأموالهم وتأمين الطرق لهم. ودون هذه الحدود والعقوبات تعازير غير محدودة أبيحت لأولياء أمور المسلمين يتخيرون فيها لكل حادثة ما يناسبها من عقوبة. والتعزير قد يكون ضربات لا تزيد على عشر ضربات إلا في حدّ من حدود الله كما جاء في الحديث: { لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حدّ من حدود الله } [متفق عليه]

وقد يكون التعزير مالا يؤخذ من المذنب كما قال ﷺ لمانع الزكاة المماطل: { فإننا آخذوها منه وشطر ماله } أو كما قال ﷺ. وكما حرّق عمر رضي الله عنه بيت رجل صانع للخمور -أو مبيع لها- وكان اسمه "رويشد" فسمّاه "فويسق". وكما حرّق عليّ رضي الله عنه قرية لم تكفّ عن بيع الخمور. وقد يكون التعزير كذلك قولاً أو حبساً أو هجراناً وذلك بحسب اجتهاد الحكام والقضاة.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

إذا عرفت ذلك، فأعلم أن الزجر بالهجران - كغيره من التعازير - يقصد من ورائه أن لا يحتري الناس علي إظهار المنكرات، لأن المنكر إذا ظهر في حياة الجماعة ولم يغير فإنه يشيع ويفشوا فيهم بسرعة فيكون ذلك إيذاناً بنزول الهلاك من الله كما قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُنُوْبِهِمْ﴾ [الأنعام].

وقال ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة].

وقد فسر هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام الترمذي بسنده أن رسول الله ﷺ قال: {لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نتهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم وأكلوهم وشاربوهم مع أنهم لم يرجعوا عن ضلالهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم} ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: {لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً}.

وجاء في حديث رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وأنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه}.

فإذا كانت مصاحبة أهل الذنوب تعرضاً لغضب الله ولعنته وعقابه فلا بد أن يكون من شروط صحبة أهل الإيمان الاستقامة والتقوى، وأن لا يجد المجاهرون بالمعاصي المصرون عليها عندهم مأوى يأوون إليه وهم لا يزالون في غيهم وضلالهم. فإن كان لهم في صحبة أهل الإيمان حاجة فليتقوا الله وليكفوا عن محارم الله. والله تعالى قد أوجب على المؤمنين تغيير المنكر وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود والتعازير للزجر عن المعاصي.. وقد جاء في الحديث الصحيح: {من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلمه وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل} وفي رواية {وذلك أضعف الإيمان}. فتغيير المنكر فرض على المؤمنين، فإن كانوا ممكنين لهم دولة فعليهم أن لا يقرّوا فيهم المنكرات، بل يغيرونها

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

بالأيدي والقوة مع التوعية والتعليم والتذكير، فإن لم يكونوا ممكنين في الأرض وكانوا في ظلّ الحكومات الكافرة فيقومون بتغيير المنكر بحسب القدرة والفرصة المتاحة .. فإن كانوا لا يقدرّون على تغيير المنكرات بأيديهم فقد يستطيعون تغييرها بالألسنة فإن عجزوا عن ذلك أنكروا المنكرات بقلوبهم وابعضوا أهلها وهجروهم وإلا لحقتهم اللعنة التي لحقت ببني إسرائيل. ومن العجب أن يتحرّج المسلم من هجران ومقاطعة المنافقين والفساق ولا يتحرّج من مصاحبة المنافقين والفساقين المجاهرين بفسقهم مع أن الأدلة واضحة لمن تدبّر بها من قوله ﷺ: {وذلك أضعف الإيمان} وقوله {حتى تأطروهم على الحق أطراً} وقوله {أوشك الله أن يعمهم بعقابه}.

فمن وفقه الله للصواب وفهم أن هجران أهل الريب والفساد من تغيير المنكر بالقلب الذي هو أضعف الإيمان، وليس وراءه من الإيمان حبة خردل ينبغي أن يفهم كذلك أمرين لهما علاقة وطيدة بالموضوع :

{الأول} أن الهجران للزجر قد يأتي على صورتين :

{الصورة الأولى}: أن يكون الهجران عاماً مفروضاً على الجماعة كلها وذلك عندما يأمر إمام المسلمين بهجران أحد تعزيراً له فيكون على كل مسلم بلغه الأمر أن لا يكلمه ولا يدخله بيته .. فإن النبي ﷺ نهى عن كلام كعب بن مالك وصاحبيه .. فامتل المسلمون بالأمر امتثالاً تاماً حتى تنكرت لهم الأرض فإذا هي ليست بالأرض التي يعرفونها .. وكما طرد النبي ﷺ المخنثين وأخرجهم من المدينة فامتل المسلمون بالأمر امتثالاً تاماً ولم يوجد من يجادل عنهم أو يحاول أن يدخلهم المدينة. وكما أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهجر "صبيغ" فلم يكن يكلمه أحدٌ حولاً، وكان ذلك بعد ضربه ونفيه إلى البصرة لأنه كان يتكلّف في معرفة غوامض القرآن ويكثر عن سؤال ذلك. وقد ورد في التواريخ أن صبيغا في تلك الفترة كان يحاول أحياناً أن يجلس إلى حلقة من المسلمين فيقول القائل "هذا صبيغ .. عزمة أمير المؤمنين" فيتفرّق الناس ويبقي وحده. ولم يزل كذلك حتى تاب فكتب عامل البصرة إلى عمر يخبره بتوبته فأمر الناس أن يكلموه.

{الصورة الثانية} أن يرى المسلم مسلماً مجاهراً بفسق فيعلمه بهجرانه إياه كأن يقول له: "لا

## إيضاحات حول الزجر بالمهجران

أَكَلَّمَكْ أَبَدًا" أو نحو ذلك، وهذا المهجران الفردي مشروع كذلك وقد عمل به السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو من تغيير المنكر. وقد جاء في حديث رواه الطبراني وغيره: "إصرم الأحق فليس للأحق شيء خير من المهجران" والأحق هو من يريد أن يصل إلى غرض صحيح بسلوك ووسيلة فاسدة. وهجرت عائشة ابن الزبير وقالت: "هو لله عليّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً" وذلك لما قال: "لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها" [البخاري].

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه "مصارمة جميلة أحب إليّ من مودة على دخل" وحلف أبو بكر رضي الله عنه ألا يكلم زياداً، فلم يكلمه حتى مات" [رواه عبد الرزاق والبيهقي]. ورأى ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يضحك في جنازة. فقال: "أتضحك وأنت في جنازة؟ والله لا أكلمك أبداً" (أحمد بن حنبل).

ومرّ رجل من الأنصار على زرّ بن حبيش وهو يؤذن فقال: "يا أبا مريم قد كنت أكرمك عن الآذان فقال: "إذن لا أكلمك حتى تلحق بالله". وقد هجر رسول الله ﷺ نساءه شهراً كما جاء في الحديث الصحيح. وعن عائشة رضي الله عنها أنه اعتلّ بعير لصفية بنت حيي، وعند زينب فضل ظهر، فقال رسول الله ﷺ لزينب أعطيها بعيراً" فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة، والمحرم وبعض صفر" [أبو داود].

وينبغي التنبيه على أن المهجر الشرعي نوعان:

**هجر بمعنى الترك:** وقطع مخالطة المفسدين عملاً بقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾. وفي الحديث الصحيح: {المهاجر من هجر ما نهى الله عنه} أي من هجر السوء وأهله.

**وهجرٌ للتعزير:** يعاقب به الآثم حتى لا يعود إلى مثله ويتعظ به غيره.

{الثاني} إن المستحقين للمهجران على ست مراتب وأصحاب كل مرتبة يختلفون عن أصحاب المراتب الأخرى في العقيدة أو في العمل والسلوك. وإليك بيان ذلك :

## المرتبة الأولى: المرتدون :

وهم الذين ارتدّوا عن الإسلام :بعد أن كانوا عليه مدّة وكانوا على علم تام به، ثم انحرفوا وارتدّوا إلى الجاهلية باختيارهم، فهؤلاء هجرهم دائمة إلا أن يتوبوا ويرجعوا عن الرّدّة .. فلا يحلّ لمسلم أن يتخذ أحد منهم جليساً وأكياً وشريكاً ولا أن يدخله بيته أو ينفعه بشيء من الدنيا وإلا خيف عليه أن تلحقه لعنة الله كما قال ﷺ: {لعن الله من آوى محدثاً} [مسلم] .

غير أنه يجوز أن يستتابوا وأن يطلب منهم العودة إلى الإسلام وأن يجاب عن الشبهات التي أوقعتهم في الرّدّة إذا كان لهم شبهات .. أما مصاحبتهم والإصغاء إلى أحاديثهم فمما لا يفعله إلا المنافقون. وإن كان للإسلام قوّة وسلطان فإنهم يُقتلون بعد الاستتابة، ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء والشبّان والشيوخ والأصحاء والمرضى، فجميعهم يُقتلون إذا أبو التوبة .



## المرتبة الثانية: وهم أهل الشرك والجاهلية:

وهم الذين ولدوا في الجاهلية ولا يعرفون حقيقة الإسلام وهؤلاء تحب دعوتهم إلى الله والصبر على آذاهم وإن طالت المدّة، فقد لبث النبي ﷺ في مشركي قومه ثلاثة عشر عاماً ولبث نوح عليه السلام في مشركي قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. ولم ينه الله تعالى عن برّ الوالدين والأقربين إذا لم يقاتلوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم أحداً ولم يجهروا بطعن دينهم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان].

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة]

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة].

والمؤمن وإن صاحب أقرباءه بالمعروف ليس بينهم وبينه مودة، فهو يبغضهم في الله ولذلك لا يتخذ أحداً منهم جليساً وأكياً وشريكاً ولا يتولاهم ولا يشاركهم في الشؤون السياسية والاجتماعية والقضائية، ولا يشاركهم كذلك في العبادات والأعياد والأفراح ولا ينصرهم في حروبهم، وإنما أهمّ علاقاتهم بهم الدعوة إلى الله والنصيحة والترغيب والترهيب والأخذ والعطاء في التعامل اليومي في الحدود التي يبيحها الإسلام كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل]: أي هجراً بلا أذى. فالؤمن يدرأ بالحسنة السيئة ولا يبدأ بالسيئة وليس هو بطعان ولا فحاش ولا لعان ولا بذئ كما جاء في الأحاديث. والهجر الجميل المأمور به ليس عقوبة وتعزيراً للمشرك كما هو الحال عند هجر المؤمن المذنب كما في قصة الثلاثة الذين خلفوا، وإنما ذلك من البراءة والمفاصلة على العقيدة ليعلموا إن المؤمنين إنما هجروهم لأجل شركهم ورجسهم وأنهم ليسوا من أهل المودة والموالة بجرمتهم العظيمة وكفرهم برب العالمين، فهي وجه من وجوه الدعوة العملية إلى الله، وهي كذلك تجيب فطرة المؤمن المبغض لأهل الشرك والذي تؤذيه مخالطتهم لأجل التنافر القلبي الذي نشأ من الاختلاف في العقيدة لأن من أحبّ الله ووحده أبغض من عادى الله وأشرك به في ألوهيته .

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [الآية] .





## المرتبة الثالثة: وهم أهل النفاق:

وهم معدودون في الظاهر من أهل الإسلام ولكنهم كفار في الحقيقة، أعداء لأهل الإيمان، لا يألوهم خبالاً، يحبون أن يقع بينهم الشرّ فيتفرّقوا وتزول قوتهم.

قال الله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ [المنافقون].

وقال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة].

وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال].

وقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة].

فهم أهل تشييط ودعاة إلى اليأس والقعود عن الحركة لإعلاء كلمة الله فان جاء من القيادة أمر بحثوا له العيوب وأشاعوا البلبلة في المسلمين، فإذا أصاب الله بالمؤمنين مصيبة ابتلاء منه جعلوها من سيئات القيادة وفتنوا بها ضعفاء الإيمان،

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء].

وقال: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة].

وقال: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة].

وقال: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون].

وقال: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون]

وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة].

وقال: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿التوبة﴾.

وهذه الآيات وأمثالها تدلّ على أنهم كانوا عُنُصُرَ فتنة وبليلة في صف المسلمين وأنهم كانوا يوجّهون أشدّ ضرباتهم إلى القيادة لعلمهم بأن القيادة تعصم الجماعة من التفرق والفوضى، فإن نجحوا في إصاق التهم الكاذبة بها نجحوا في التفريق بين المؤمنين وعند ذلك يقدرّون على التحرّر من تكاليف الإيمان.

وقبل أن نذكر الإجراءات التي يتخذها الإسلام والوسائل التي يستخدمها لدرء مفسد هذا الصنف الخطير ينبغي التنبيه على أن المنافقين ليسوا نسخة واحدة متكررة وإنما هم أنواع كثيرة لا يحصرهم العدّ، وبين بعضهم تفاوت كبير في درجة النفاق ونوعه. أما القدر المشترك الذي به استحقوا صفة النفاق فهو أنهم قوم يظهرون الإسلام وهم عند الله من الكافرين.

فمن أنواعهم:

{الأول} الزنادقة: وهم قوم على ملة كافرة كالوثنية أو اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك فيظهرون الإسلام رغبة في النجاة أو في التجسس أو المكر به أو غير ذلك من المصالح الدنيوية. وهم في غالب الأحوال يعتقدون أن ملّتهم صحيحة وملة الإسلام باطلة. وقد جاء في القرآن قوله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران].

وقد كانت الزندقة نادرة الوقوع في زمن النبي ﷺ وخلفائه وإنما كثرت في العصور التالية. بعد ما دمر الإسلام الإمبراطوريات الكافرة واضطرّ الكثيرون إلى إظهار الإسلام مع بغضهم له.

{الثاني} ومنهم قوم عرفوا الحق وتركوا الشرك وعبادة الأصنام ولكنهم كانوا يأنفون من متابعة الرسول وطاعته طاعة مطلقة لأجل ما في قلوبهم من كبر وإعجاب بالنفس أو اعتزاز بعشيرة أو حسد وحقْدٍ دفين ... ولولا خوفهم من سيف الإسلام لكانوا مثل فرعون وأبي جهل وغيرهم من المعاندين الذين حاربوا الإسلام وهم يعلمون أنه حق. ويمثل هذا الصنف "عبد الله بن أبي ابن سلول".

{الثالث} ومنهم قوم لا يستكبرون عن طاعة الله ورسوله جملةً ولكن يستكبرون عن بعض التكاليف كدفع الزكاة أو الصلاة في الجماعة أو غير ذلك مع علمهم بأنها من الوحي الإلهي.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وهذا الاستكبار الجزئي كفر مخرج عن الملة ويرتد صاحبه إذا أظهره ويكون منافقاً في الدرك الأسفل من النار إذا أخفاه عن الناس. ولا ينفع هذا المستكبر أعماله الأخرى الصالحة. فإن إبليس اللعين كفر باستكباره عن أمر واحد مع ما كان له من أعمال صالحة في سالف أيامه.

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة].

وقد يخدع الواحد من هذا الصنف نفسه فيظن أن إيمانه صحيح ولكن الحقيقة هي أنه من المنافقين. فكم من منافق عند الله مسلم عند نفسه وعند الناس.

**{الرابع}** ومنهم قوم ليس لهم غاية أعلى من الحياة الدنيا، لا يخافون الآخرة ولا يرغبون فيما عند الله، همهم الدنيا فإن وجدوها في الإشراف أشركوا وإن وجدوها في الإسلام أسلموا.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج].

وقد يخدع الواحد نفسه فيظن أن إيمانه صحيح، لكن عند ما يقع الابتلاء تظهر حقيقته فيعرف نفسه ويعرفه المؤمنون.

**{الخامس}** وهم طبقة شبيهة بالمتقدمة إلا أنها أحرص على العلم والعمل، وقد عرفوا حسن الإسلام وقبح الشرك فتبرؤوا من الشرك وأهله ولكن أوقعهم الحرص على الدنيا واستحبابها على الآخرة في النفاق وهم يظنون أنهم مؤمنون.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل].

وقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.﴾ [إبراهيم].

فترى هؤلاء يشاركون المسلمين في الأعمال الصالحة التي لا تضرّ بدنياهم مثل: شهود الجمعيات والأعياد وحلقات الدروس .. وكذلك المحافظة على الآداب الإسلامية في الملبس والمأكل والمعاشرة والاستئذان وغير ذلك. ولكن إذا جدّ الجدّ وجاء الوقت الذي يحتاج إلى بذل الأنفس والأموال والأوقات تراههم يتغيّبون ويتوارون عن الأنظار وكأنهم ليسوا من المؤمنين في شيء. وقد كان بعضهم فقيراً يتمنى المال لينفق في سبيل الله كما يفعل الصالحون، فلما أعطاه الله المال

حملة الحرص على الدنيا على إخلاف الوعد فسلبه الله الإيمان من قلبه:

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة]..

{السادس} وهم قوم يظنون أن إيمانهم وإسلامهم صحيح وأهم برآء من الشرك وأهله، ولكنهم يشركون بالله في المحبة فيحبون غير الله كحب الله، والمحبة تظهر في الاتباع والطاعة:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة]. وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران].

وهؤلاء يقدمون رضى الآباء والأبناء والأزواج على رضى الله، فيدخلون بالنفس والمال لإرضاء الأقارب، وربما أوقعهم حبهم لغير الله في موالاته أعداء الله. وترى الواحد من هذا الصنف ينفق المال الجزيل في إشباع شهواته وإرضاء أزواجه طواعية من غير أن ينتظر إشارة من أحد. أما في الإنفاق في سبيل الله فينتظر الإشارة والموعظة والنصيحة، فإذا أنفق، أنفق النزر اليسير كارهاً: قال تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة].

وقال تعالى وهو ينهى عن ذلك الشرك الخفي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

{السابع} وهم قوم يظنون أن إيمانهم وإسلامهم صحيح بينما هم عند الله من المنافقين، وذلك لما كرهوا شيئاً مما أنزل الله سواء كان ما كرهوه الجهاد في سبيل الله أو الإنفاق في سبيل الله أو الزكاة أو صلاة الجماعة أو القصاص أو غير ذلك من واجبات الدين. والكاره لبعض التنزيل كافر خارج عن الملة إن أظهره، منافق إن أخفاه عن الناس.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد]. وأولئك المنافقون تحملهم كراهية الحق على كراهية أهل الحق. كما أن كراهية الشرك والكفر

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

تحمل المؤمن على كراهية أهل الشرك، لذلك فهم يعضون المؤمنين بغضاً شديداً ويحبّون الفاسقين والمنافقين حباً شديداً.

وفي الحديث الصحيح: {آية الإيمان حبّ الإنصار وآية النفاق بغض الأنصار}

وفي الحديث الصحيح الآخر قوله ﷺ لعليّ {لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق}.

{الثامن} وهم قوم يظنون أن إيمانهم وإسلامهم صحيح ولكنهم صاروا عند الله من المنافقين وذلك لما استهزؤا بالله وآياته ورسوله، وهذا الاستهزاء كفر مخرج عن الملة إذا أظهر، ونفاق إذا أخفى. لأن تعظيم شرع الله ومحبة من الأعمال القلبية الواجبة التي لا يتم إيمان بدونها، وقد دلّ ذلك الاستهزاء على انعدام تلك الأعمال القلبية فيكون صاحبه كافراً أو منافقاً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وقد نزلت الآية في قوم معدودين في الصحابة، وكانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة "تبوك" يريدون أن يقاتلوا معه الروم.. ولكنهم في طريقهم استهزؤا بالقرءاء وعابوهم قائلين: "ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء أرغب منهم بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء" فنزلت الآية بكفرهم بعد إيمانهم.. فدلّ ذلك على أن الإنسان قد يكفر وينافق وهو يظنّ أن إيمانه صحيح، ودلّ كذلك على أن الاستهزاء بالصالحين استهزاء بآيات الله، فأولئك القرءاء لم يكن الشيء الذي يميزهم عن سائر الصحابة غير علمهم بالقرآن وعملهم به فمن استهزأ بهم فقد استهزأ بآيات ربه وكفر بعد إيمانه، فمن هنا تظهر لك خطورة الاستهزاء والافتراء على أهل العلم والصلاح.

{التاسع} وهم قوم عرفوا الحق وتركوا الشرك وأهله ودخلوا في عداد المسلمين ولكنهم أصبحوا ضعفاء البصيرة واليقين تؤثرهم كلّ شبهة ضالة فيشكون في موقفهم وطريقهم، لم يعطهم الله الفرقان الذي يفرّق بين الحق والباطل فصاروا: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ وهم الذين وصفهم الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بـ (الهمج الرعاع) لكثرتهم وجهلهم وضعف بصيرتهم. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال: ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك. قال: "وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يضرب مثلاً للمؤمن وللمنافق وللکافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهرٍ فوقع المؤمن فقطع

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر: أن هلمَّ إليَّ فإني أخشى عليك. وناداه المؤمن: أن هلمَّ إليَّ فإن عندي وعندني يحصى له ما عنده، فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرقه، وإن المنافق لم يزل في شكٍّ وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك". [ابن جرير].

وفي الحديث: {مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين} [أحمد/ومسلم]

{**العاشر**} وهم قوم عرفوا الإسلام ودخلوا في جماعة المسلمين وتبرؤا من الشرك وأهله ولكنهم لم يتخلصوا من حبِّ الشرف والجاه عند الناس فأفسد ذلك دينهم وأوقعهم في النفاق. كما جاء في الحديث: {ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه} [أحمد/النسائي].

وإذا لم يتخلص المسلم من هذا المرض فإنه يهلكه، وذلك أنه عندما يرى غيره من المؤمنين سبقوه في العلم والتقوى وأن ليس له في المسلمين من الشرف مثل ما لغيره يدخله داء الحسد فيعادي المؤمنين ويسعى في الإفساد بينهم، وهو لا يشعر أنه بعمله ذلك صار من المنافقين الذين يحبون أن يتفرق حزب الله وأن يزول التآلف والتآخي الذي أمره الله من قلوب أهل الإيمان، وإنه صار معادياً لربه كإبليس اللعين.

قال تعالى عن المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة]

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة].

وأولئك إذا قيل لهم: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ويقولون: "نحن لا نحارب ولا نعادي دين الله وإنما نحارب ونعادي أشخاصاً" هذا هو قولهم، وقد علمت أن السعي في التفريق بين أهل الإيمان من عمل المنافقين. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب].

{**الحادي عشر**} وهم قوم يظنون أن إيمانهم صحيح لما تركوا الشرك وأهله ودخلوا في جماعة

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

المسلمين ولكنهم صاروا عند الله منافقين كافرين. وذلك لما شكّوا في وعد الله الذي وعده لعباده المؤمنين أنه ينصرهم على الكفار وأن العاقبة تكون للمتقين. قد رأوا كثرة الأعداء المحاربين للإسلام وقلة المسلمين وضعفهم فظنوا أن أمر الإسلام يضمحل وأن وعد الله لا يتحقق فقالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب].

{الثاني عشر} وهم قوم عرفوا الإسلام وتركوا الشرك وأهله وانضموا إلى المسلمين .. ولكن حبّهم للحياة شديد، وحرصهم على البقاء في الدنيا أشدّ من حرصهم على بقاء إيمانهم، وليس الإيمان عندهم أغلى من الحياة الدنيا. ولذلك يرتدون إذا لقوا التعذيب أو التهديد من المشركين.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ. وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت].

وقال: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب].

{الثالث عشر} وهم قوم يدعون الإسلام والبراءة من الشرك وأهله ولكنهم كفروا بنفاق لما كفروا بقدر الله وحكمته. وإن كانوا في الظاهر يقولون: آمنا بالقدر خيره وشره إلا أنهم في الحقيقة ليسوا كذلك وإنما يقولون ما لا يفعلون، ولذا تراهم يأسون ويجزعون عند المصائب ويفرحون ويفخرون ويتكبرون عند النعم لا يدرون حكمة الله التي وراء الابتلاءات. يقولون عند المصائب: إنها أتت بشؤم فلان وفلان ويقولون عند النعماء: إنها أتت بفضل الله وإحسانه: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء].

وهؤلاء عندما يكونون فقراء يظهرون الموافقة المطلقة لأهل الإيمان كي تنقضي حاجتهم المادية، فإذا استغنوا تكبروا واستطالوا على عباد الله واشتغلوا ببحث عيوبهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة].

وفي الحديث: {ما ينقم ابن جميل؟ إلا أن كان فقيراً فأغناه الله} [متفق عليه]

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

{الرابع عشر} وهم قوم عرفوا الإسلام ودخلوا فيه وانضموا إلى جماعة المسلمين وتبرؤا من الشرك وأهله وأظهروا الاستقامة والصلاح ولكنهم صاروا عند الله من المنافقين بسبب واحد وهو: أنهم يجالسون المنافقين فيسمعون منهم الكفر والاستهزاء بأهل الإيمان والعلم والصلاح، فلا يغضبون الله ولا يفارقونهم ولا يخبرون المؤمنين ما علموه من الكيد والشر الذي يحاك لهم في الوقت المناسب، بل يظلّون ساكتين حتى إذا انكشف أمر المنافقين وفضحهم الله، انبرى أولئك الضعفاء الذين ذهب عنهم "الغيرة الدينية" يخبرون المؤمنين ما سمعوه من المنافقين من شرّ وكيد في وقت لا يفيد إخبارهم شيئاً. والمسلم إذا صار حاله هكذا فإنه عند الله من المنافقين الخالدين في النار مهما مدحه الناس وعدّوه من المؤمنين المتقين، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء].

ولأجل ذلك كان أفاضل المؤمنين إذا سمعوا من المنافقين كلمة كفر واستهزاء أخبروا ذلك لرسول الله ﷺ خوفاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء] كما فعل "زيد بن أرقم" و "عمير بن سعد" وغيرهم رضي الله عنهم.

{الخامس عشر} وهم قوم دخلوا في الإسلام وتبرؤا من الشرك وأهله ولكنهم أسرفوا على أنفسهم وغلب عليهم فعل الكبائر من الذنوب، واشتهروا بالكذب والخيانة وإخلاف الوعود. وشدة الخصومة مع الفجور فيها. كما جاء في الحديث: {آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان} [متفق عليه].

وفي الحديث الآخر: {أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خلةٍ منهنّ كان فيه خلةٌ من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر}. [متفق عليه].

وهذه الأصناف هي من أبرز أصناف المنافقين وليست كلهم، فهم كثيرون لا يعلم عدّتهم إلا الله، وسبب كفرهم هو الزندقة أو الاستكبار أو استحباب الحياة الدنيا على الآخرة أو الشرك في المحبة أو كراهية التنزيل أو بعضه أو الشكّ بوعد الله أو الكفر بالقضاء والقدر أو الاستهزاء بالله وآياته ورسوله .. أو غير ذلك مما يجعل صاحبه كافراً عند الله وإن ظنّ هو أنه



على إيمان صحيح.

وإذا كان في الإنسان شيء من هذه الأمراض القلبية فمن المستحيل أن يتّصف بصفات أهل الإيمان والاستقامة ولا بدّ أن تظهر منه صفات أهل الريب والنفاق الذين من صفتهم: الكذب وإخلاف الوعد وخيانة الأمانة والكسل عند أداء الفرائض وإحياء العصبيات الجاهلية، والسعي بالتفرقة بين المؤمنين، وضعف القوّة العلمية والعملية والجزع في المصائب والفرح في النعم، والجبن عند اللقاء والبخل بالنفس والمال .. إلى غير ذلك من صفات وسماتٍ ذميمة.

غير أنه ينبغي أن نعرف أن أهل النفاق متفاوتون في درجة النفاق فمنهم من يكون فيه إيمان ونفاق، ونفاقه في طريقه إلى الزوال حتى يصير مؤمناً خالصاً، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

ومنهم من يكون نفاقه في ازدياد وإيمانه في زوال حتى يصير منافقاً خالصاً أو مرتداً. وكذلك كان منهم من وصل إلى درجة الإيمان وبرئ من الشرك والنفاق ولكنه ارتدّ إلى النفاق وكفر بالله بعد إيمانه كما يُفهم من الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة]

قال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة]

قال تعالى: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة]

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون]

ولم تكن ردّة أولئك ردّة ظاهرة فيقام عليهم الحدّ، بل كانت ردّتهم ردّة نفاق فظّلوا في عداد المسلمين وهم عند الله من المنافقين الكافرين. وينبغي كذلك أن نعرف أنهم على درجات من ناحية إظهار الشرور والنفاق فمنهم من لا يعرفه أحدٌ إلا الله لقوّة كتمانهم وإمعانهم في تظاهرهم بالإسلام، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا نَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة]. ومنهم من يعرفه بعض المسلمين دون بعضهم، ومنهم مشهورون بالنفاق قد انكشف أمرهم فعرفهم المسلمون وأخذوا منهم حذرهم.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

ولأجل تفاوت المنافقين في درجة النفاق ونوعه وتفاوتهم في إظهار الشر وإخفائه تنوعت الإجراءات والوسائل المستخدمة لدرء مفسدهم فمنها:

### {أولاً} الوعظ والإرشاد:

وقد كان منهم من تنفعه الموعظة فيتوب ويخلص عمله وكان منهم من تزيده الموعظة كفرًا وطغيانًا. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزادتهم رجسًا إلى رجسهم ومأثوا وهم كافرون﴾ [التوبة].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة].

### {ثانيًا} الإعراض عنهم وعن مجالسهم:

هذا الإعراض ضروريٌ لتمييزهم عن المؤمنين حتى لا ينخدع بهم أحدٌ.

قال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء]

قال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء]

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء].

فلا ينبغي للمؤمن أن يبدى للمنافق المودة والشوق إلى لقائه ولا أن يشاوره في أموره ويطيعه في آرائه، ولكنه قد يضطر إلى الجلوس معه في لقاء عابر بقصد الموعظة والنصيحة أو لأجل ضرورة من الضرورات بشرط أن لا يكفر ويستهزئ بآيات الله، فإن فعل وجبت مفارقتة على الفور. ومنهم من يستحقون أن يغلظ عليهم القول لتجبرهم واستكبارهم على الحق حيث لا تنفعهم النصيحة والقول اللين.

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرِ﴾ [التوبة].

### {ثالثاً} كشف مكايدهم والتحذير من شرهم:

وهذا أيضاً أمرٌ ضروريٌّ للحركة الإسلامية تظهر أهميته عند مراجعة السور والآيات الكثيرة التي نزلت بكشف مكاييد المنافقين وبيان نواياهم الخبيثة حتى لا يقع المؤمنون فريسة لأولئك الأعداء الذين تزَيَّوا بزيِّهم وتكلَّموا بكلامهم وانتسبوا إليهم.

قال الإمام ابن كثير: "ولهذا نبَّه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلاً يغترَّ بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظنَّ بأهل الفجور خيرٌ". [تفسير القرآن العظيم/ص ٤٨].  
وكم من حادثة حدثت في حياته ﷺ فنزل فيها قرآن يبيِّن نفاق أقوام معيَّنين. وقد قال ابن عباس رضي الله عنه عن سورة التوبة: "إنها الفاضحة". لأنها فضحت رجالاً معيَّنين معدودين في الصحابة وتكرَّر فيها "ومنهم... ومنهم... ومنهم" حتى خاف كل رجلٍ أن يُذكر في المنافقين.

قال الجَدُّ بن قيس لرسول الله ﷺ: "أو تأذن لي ولا تفتني" فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذِّنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ أي ومن المنافقين، فتبيَّن للمؤمنين حال "الجَدُّ بن قيس" الذي كان يقال عنه إنه سيد بني سلمة.

وكان بعضهم ينكر على النبي ﷺ في قسمة الصدقات فيقولون: "ما هذا بالعدل" حتى قال أحدهم "لئن كان الله أمرك بالعدل فإنك لم تعدل" فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا...﴾ ومنهم أي ومن المنافقين، فتبيَّن للمؤمنين حال أولئك الذين أورطهم الحرص على المال في اتِّهام رسول الله ﷺ.

وكان "نبتل بن الحرث" من بني "عمرو بن عوف" يقول: "إنما محمد أذن من حدثه شيئاً صدقه" فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾ فتبيَّن للمؤمنين حال الرجل وأمثاله لأن الآية صرحت بنفاقه.

ولما استهزأ "وديعة بن ثابت" وأصحابه بالقراء نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فتبيَّن حالهم للمؤمنين.

وكان الذي نزلت فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

الصَّالِحِينَ ﴿﴾ رجلاً معروفاً يقال له "ثعلبة" كما في بعض الروايات. وكان الذين اتخذوا المسجد الضرار رجلاً معروفين من أشرف الأنصار. وكذلك الذين تخلفوا عن غزوة "تبوك" وقال الله عنهم: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ كانوا جمّاً غفيراً معدودين في الصحابة. وكذلك نزلت آيات كثيرة تؤكد وتصريح بنفاق "عبد الله بن أبي" في سورة المنافقين والحشر والنور والمائدة، فاشتهر بين المسلمين بأنه رأس المنافقين. ولما انحزل ثلث جيش رسول الله ﷺ في غزوة "أُحُد" وأطاعوا رأس المنافقين "عبد الله بن أبي" وتركوا النبي ﷺ والمسلمين يواجهون عدواً يفوقهم في العدد والعدة.

قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ فتبين للمؤمنين حالهم، وعرفوا أنهم صاروا منافقين عند الله، أما عند أنفسهم فما كانوا يقولون ذلك وإنما كانوا يقولون: نحن مؤمنون بالله وما فعلنا كفراً إلاّ إننا انسحبنا من موقعة معلومة النتيجة غير متكافئة الطرفين. وفي غزوة الأحزاب قال "معتب بن قشير": ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ فنزل القرآن فعلم أنه من المنافقين.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾. وجاء رجال من بني حارثة إلى النبي ﷺ يقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ فنزل القرآن فعلم أنهم من المنافقين.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوُهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾. [الأحزاب].

وفي هذه الغزوة أمر "أوس بن قيطي" من كان في طاعته بالهروب، فنزل القرآن وعده في المنافقين.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ فعُرف حاله. ولما اشتبه على المسلمين حال بعض من ينتسب إلى الإسلام ولم يهاجر من مكة واختلفوا في حكمهم نزل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ فعرف المسلمون نفاقهم واتفقت كلمتهم فيهم. ولما كانت سنته ﷺ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

مفسرةً للقرآن جاءت الأحاديث على منوال القرآن تبين سمات أهل النفاق وتعين بعضهم أحياناً .. وإليك بعض الأمثلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان} [متفق عليه- واللفظ لمسلم].  
عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: {أئذنوا له، بنس أخوا العشيرة} [متفق عليه].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: {ما أظنّ فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا الذي نحن عليه شيئاً} [البخارى].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {كلّكم مغفورٌ له إلا صاحب الجمل الأحمر} فأتيناه فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان الرجل ينشد ضالةً. [مسلم].

عن أبي الطفيل قال: كان بين رجلٍ من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ فقال له القوم: أخبره إذ سألك. قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم الأَشهاد، وعذر ثلاثة، قالوا ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم} [مسلم].

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدةٌ تكاد أن تدفن الراكب، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: {بُعِثت هذه الريح لموت منافق} فلما قدِم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات" [مسلم].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلّ شجرة فقال: {إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطانٍ فإذا جاء فلا تكلموه} فلم يلبث أن طلع رجلٌ أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ ، فقال: {علام تشمني أنت وأصحابك؟} فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى جاوز عنهم فأنزل الله: ﴿يُخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [ابن جرير/الطبراني].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: "عدنا مع رسول الله ﷺ رجلاً موعوفاً قال: فوضعت يدي عليه فقلت: والله ما رأيت كاليوم رجلاً أشدَّ حرّاً. فقال رسول الله ﷺ: {ألا أخبركم بأشدَّ حرّاً منه يوم القيامة؟ هذينك الرجلين المقفين} لرجلين من أصحابه" [مسلم]. وهذا الاهتمام البالغ بتمييز المؤمنين من المنافقين كان من ثمرته أن صار المؤمنون كتلة قويّة متماسكة لا تقدر مكاييد المنافقين أن تسحقهم أو تفرّق شملهم بل إن المنافقين صاروا مقهورين منطوين على أنفسهم يعيشون في رعب وخوف دائم من انكشاف أمرهم.

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾. [التوبة]

ومما يدلّ على أن طبقة المنافقين كانت معروفة في الجماعة الأولى ما جاء في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: "فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء" [متفق عليه].

وكان جيل الصحابة رضوان الله عليهم على علم بأن المنافقين - وإن حققت الشريعة دماءهم لحكمة يعلمها الله - ليس لهم حقوق المؤمنين المتقين الذين تُصان أعراضهم وتُستر ذنوبهم إذا أذنبوا، بل كانوا يروّهم أعداءً أشدَّ خطورة من المشركين المصرّحين بشركهم كما قال تعالى: ﴿هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ [المنافقون].

ولذلك كانوا يبلغون الرسول ﷺ ما يظهر منهم من الكلمات الدالة على النفاق كي يأخذ منهم الحذر الذي أمره الله. وإليك بعض الأمثلة:

جاء في الصحيح أن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبيّ ابن سلول يقول: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ وقال أيضاً: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فصلّتهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني همّ لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ.. إِلَى قَوْلِهِ: هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ.. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ فأرسل إليّ رسول الله ﷺ فقرأها عليّ ثم قال: {إن الله صدّقك}."

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾

قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن صامت. قال: "إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشدّ من الحمير". فقال له ابن امرأته: والله يا عدوّ الله لأخبرنّ رسول الله ﷺ بما قلت فأني إن لا أفعل أخاف أن تصيبي قارعة وأؤاخذ بخطيئتك. فدعا النبي ﷺ الجلاس فقال: "يا جلاس أقلت كذا وكذا؟" فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية. [ابن جرير].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجهن عند اللقاء" فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق، لأخبرنّ رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله: فأنا رأيته متعلّقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تُنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [ابن جرير/وابن أبي حاتم].

روى بن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما قسم النبي ﷺ غنائم حنين سمعت رجلاً يقول: "أنّ هذه قسمة ما أريد بها وجه الله" فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصير. ونزل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾. وقد علّم الله المؤمنين من سورة التوبة التي كانت من آخر ما نزل من القرآن أن المجتمع الإسلامي يتكوّن من ثلاث طبقات إيمانية هي:

{الأولى} طبقة المؤمنين المتقين وهم أهل هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة].

{الثانية} طبقة الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم أهل هذه الآية: ﴿وَأَخْرُونا عَنْ أَصْوَافِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة].

{الثالثة} طبقة المنافقين وكانوا من أهل المدينة ومن الأعراب، وهم أهل الآيات الآتية: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾. [التوبة].  
﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أفعه الناس في دين الله، ولم يقولوا لا سبيل إلى معرفة المنافقين بعد انقطاع الوحي، وإنما صرحوا بوجودهم كما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بعد النبي ﷺ: "المنافقون اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله ﷺ كان يومئذ يسرّ واليوم يُجهر" [البخارى].

وكان مقياسهم في تمييز المؤمن من المنافق بعد انقطاع الوحي إظهار الخير والشرّ، أي أن من أظهر الخير فأتصف بصفات المؤمنين كانوا يعتبرونه مؤمناً ويكلون سريرته إلى الله. ومن أظهر الشرّ فأتصف بصفات أهل النفاق يعتبرونه منافقاً وإن ادّعى حسن النية والسريرة .. وقد صرح بهذه القاعدة الصحيحة الهامة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: "إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمّناه وقربناه وليس لنا في سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدّقه وإن قال: إن سريرته حسنة" [البخارى].

قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى: م ٢٨ / ص ٢٣٢: "وأعداء الدّين نوعان الكفار والمنافقون، وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين في قوله ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ في آيتين من القرآن. فإذا كان أقوام منافقون يتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس: فسد أمر الكتاب، وبدل الدّين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أيّ أهله .

وإذا كان أقوام ليسوا منافقين، لكنهم سمّاعون للمنافقين، قد التبس أمره حتى ظنّوا قولهم حقاً، وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ فلا بدّ أيضاً من بيان حال هؤلاء، بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدّين، فلا بدّ من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها". (١ هـ)



#### {رابعاً}: رفع التكريم عنهم :

لما كان أهل النفاق في الجماعة المؤمنة عناصر هدامة يعملون علي تقويض البناء الإسلامي بوعي أو بغير وعي فإن الشارع لم يعطهم أن يتمتعوا بالتكريم الذي يستحقه المؤمنون لأنهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين.

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة].  
وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور]

وكون بعضهم يظن أنه على إيمان صحيح ومباينة للنفاق لا يغير من الحقيقة شيئاً ولا يختلف ذلك عن ظن المشركين الذين يعبدون غير الله أنهم مؤمنون بالله متبعون لملة الأنبياء. فأنزل الله تكذيبهم في كتابه.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم]

فالحق لا يتأثر بظنون الناس ومزاعمهم، فمن أشرك بالله فهو من المشركين وإن ظن وزعم أنه من المؤمنين الموحدن، ومن وقع في النفاق فهو من المنافقين وإن ظن وزعم أنه من المؤمنين المخلصين. والأمثلة الآتية تبدى لك من جوانب مختلفة عدم استحقاق المنافقين للتكريم في شرع الله وأن لهم الإهانة والإذلال ماداموا على النفاق مصرين .

#### {المثل الأول}: تحريم الصلاة على المنافق:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة].

قال سيد قطب في ظلال القرآن عند هذه الآية: "ولقد ذكر المفسرون حوادث خاصة عنتها هذه الآية. ولكن دلالة الآية أعم من الحوادث الخاصة. فهي تقرّر أصلاً من أصول التقدير في نظام الجماعة المكافحة في سبيل العقيدة، هو عدم التسامح في منح مظاهر التكريم لمن يؤثرون الراحة المسترخية علي الكفاح الشاق، وعدم المحاملة في تقدير منازل الأفراد في الصف. ومقياس هذا التقدير هو الصبر والثبات والقوة والإصرار والعزيمة التي لا تسترخي ولا تلين". وقال: "فالصلاة والقيام تكريم والجماعة المسلمة يجب ألا تبذل هذا التكريم لمن يتخلّف عن الصف في

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

ساعة الجهاد، لتبقي له قيمته، ولتظلَّ قيم الرجال منوطة بما يبذلون في سبيل الله وبما يصبرون علي البذل، ويثبتون على الجهد ويخلصون أنفسهم وأموالهم لله، لا يتخلفون بهما في ساعة الشدة ثم يعودون في الصفّ مكرمين".

### {المثل الثاني}: عزهم عن المشاركة في الجهاد:

وقد دلّت آيات القرآن على أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد يُعزلون عن المشاركة في الجهاد في المستقبل. كآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة].  
وقال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ سَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح].

### {المثل الثالث} طردهم من مسجد الجماعة

من المعلوم أن المنافقين متفاوتون في إظهار الشرّ، ولذلك قد يضطرّ المسلمون إلى طرد بعض المنافقين من مسجد الجماعة إهانة وإذلالاً لهم وحماية لضعفاء المسلمين من الانخداع بباطلهم والوقوع في نفاقهم. جاء في سيرة "ابن هشام" تحت عنوان: {طرد المنافقين من مسجد رسول الله ﷺ}: وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناسٌ، فرأهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب، خالد بن زيد بن كليب إلى عمرو بن قيس، أحد بني غنم بن مالك بن النجار - كان صاحب آلتهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه، حتى أخرجته من المسجد، وهو يقول: "أُخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة. ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة أحد بني النجار فلبّيه بردائه ثم نثره نثراً شديداً، ولطم وجهه، ثم أخرجته من المسجد، وأبو أيوب يقول له: "أفٍ لك منافقاً خبيثاً، أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله ﷺ". قال ابن هشام: أي إرجع من الطريق الذي جئت منها .

قال الشاعر: فوّلّي وأدبر أدراجاه وقد باء بالظلم من كان ثمّ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو، وكان رجلاً طويلاً للحية، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد. ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمة خراً منها. قال: يقول: خدشتني يا عمارة،

قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: اللدم: الضرب ببطن الكف. قال تميم بن أبي بن مقبل:

وللفؤاد وجيبٌ تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

قال ابن هشام: الغيب: ما انخفض من الأرض. والأهر: عرق القلب.

قال ابن إسحاق: وقام أبو محمد رجلٌ من بني النجار، كان بدرياً وأبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، إلى قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غلاماً شاباً، وكان لا يُعلم في المنافقين شاباً غيره، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد. وقام رجلٌ من بلخدر بن الخزرج رهط أبي سعيد الخدري، يُقال له: عبد الله بن الحارث، حين أمر رسول الله ﷺ بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجلٍ يُقال له: الحارث بن عمرو وكان ذا جمّة فأخذ بجمته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه من المسجد، قال: يقول المنافق: لقد أغلظت يا ابن الحارث. فقال له: إنك أهلٌ لذلك، أي عدوّ الله لما أنزل الله فيك، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجسٌ. وقام رجلٌ من بني عمرو بن عوف "إلى أخيه" زوي بن الحارث "فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً، وأفّ منه، وقال: "غلب عليك الشيطان وأمره" فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين، وأمر رسول الله ﷺ بإخراجهم. إهـ.

وهذا الإخراج خاصٌّ ببعض المنافقين الذين لا يكتفون عن الطعن والإستهزاء، أما الذين يخفون نفاقهم أو تظهر منهم كلمات النفاق في أوقات الحن والشدائد، وإن سُئلوا أنكروا أو اعتذروا أو قالوا نتوب. فلم يكونوا يخرجون من مسجد الجماعة لأن المسجد كان مركز تربية الجماعة وتوعيتهم حيث تتلى آيات الله التي تنير القلوب وتخرجها من الظلمات إلى النور ومن النفاق إلى الصدق والإخلاص واليقين.

{المثل الرابع} تحريم مخاطبتهم بألفاظ التكريم:

جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: {لا تقولوا للمنافق سيِّدًا فإنه إن يك سيِّدًا فقد أسخطتم ربكم} [رواه أبو داود/ وأحمد].

ومقتضى ذلك عدم توليتهم المراكز القيادية فلا يُختار منهم القادة والنقباء والعرفاء لعدم أمانتهم، ولأن ذلك يؤدي إلى مخاطبتهم بألفاظ التكريم. وقد كان "الجد بن قيس" من المنافقين الأغنياء وكان سيِّدًا لبني "سلمة" فورد في السيرة أن رسول الله ﷺ سألهم قائلًا: {من سيدكم يا بني سلمة؟} قالوا: "الجد بن قيس" غير أنه بخيل جبان. فقال النبي ﷺ: "وأَيُّ داء أدوى من البخل، بل سيدكم الفتى الأبيض بشر بن البراء بن معرور" [ابن إسحاق].

{خامساً} معاقبتهم بالقتل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة]

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أُحِذُوا وَقَتُّلُوا تَقْتِيلًا. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

لا خلاف بين علماء المسلمين أن المنافق يُقتل إذا أظهر نفاقه وكفره وأصرَّ عليه، ويكون حكمه حكم المرتد. ولا خلاف بينهم كذلك في قتله إذا أفسد في أرض الله بالقتل والنهب والاغتصاب وقطع الطريق.

أما الذي يُخفي نفاقه ويظهر منه أحياناً ما يدلّ علي كفره من كلمات، كيف يكون جهاده وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾؟ للسلف في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

(الأول): أنهم يجاهدون الكفار فيقتلون. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: قال: "بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقبله فإن لم يستطع فليكفهّر في وجهه" [الطبري].

(الثاني): أنهم يجاهدون باللسان. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿١﴾: "فأمره بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم" [الطبري].

(الثالث): أن جهادهم هو إقامة الحدود. قال الحسن البصري: "جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود، أقم عليهم حدود الله".

قال الإمام الطبري: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.

والمنافق في دار الإسلام ودولته يكون في إحدى الحالات الآتية:

(١) أن يكون مستوراً يُعرفُ إسلامه ولا يُعرفُ نفاقه، فهذا يكون معصوم الدم والمال، والله يحاسبه في سريره وله حقوق المسلمين في الدنيا.

(٢) أن يكون مظهراً للنفاق مصرّاً عليه، لا يعتذر ولا يتوب فهذا يُقتل مرتداً.

(٣) أن يكون مظهراً للإيمان ولكن تظهر منه كلمات الكفر في مناسبات مختلفة وفي أوقات الشدائد، فإن أخذ به أنكر أو اعتذر فهذا: يجوز قتله كما فهمه ابن مسعود من قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ لأنه منافق والآية عامة في المنافقين. وكما فعل ابن مسعود بمن تكلم بالكفر في مسجد بني حنيفة في الكوفة. ويجوز تركه كما فعل رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي وأمثاله وقال لعمر الذي أشار بقتله: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" [متفق عليه].

فدل ذلك على أن قتل المنافق المعروف ثابت شرعاً، إلا أنه قد يُترك إذا كانت المفسدة المترتبة على قتله تربوا على المفسدة المترتبة على إبقائه حياً، فقتل عبد الله بن أبي كانت تترتب عليه مفسدة عظيمة تضر بالدعوة، وهي أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.. أما تركه حياً فلم يكن ذا خطر كبير، لأن نفاقه اشتهر بين المسلمين فلم يكن ينخدع به أحد، حتى أن ابنه طلب من النبي ﷺ أن يأتي برأسه. وليس معنى ذلك أن هذا الصنف من المنافقين عند ما لا يُقتلون يعيشون مكرمين يتمتعون بكل حقوق المسلمين، وإنما هم يعيشون أذلاء يوصفون بالنفاق ويُشاع مكايدهم وأفاعيلهم الخبيثة بين المسلمين ليأخذوا منهم حذرهم ولينفذوا فيهم شريعة الله التي رفعت عنهم التكريم.

وعند ما يكون المسلمون جماعة صغيرة تحت المظلة الجاهلية ودولة الكفر فإنهم لا يقدرّون على

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

القيام بجهاد المنافقين بالقتل، ولا يقدرّون على مصاحبتهم وهم أذلاء موصوفين بالنفاق، لأنهم لا يهابون سلطاناً للمسلمين فمن رماهم بالنفاق يرمونه به أو يقاتلونهم، ولذلك فإن المسلمين في مثل هذه الظروف لا يقدرّون على مصاحبة المنافقين إلّا إذا كانوا مستورين يُعرف إسلامهم ولا يُعرف نفاقهم، وإلّا إذا كانوا ممن يتّعون بالمواعظ وينتفعون بالنصائح فيتوبون من النفاق، ويرى المؤمنون تحسّن أحوالهم في الواقع المشهود.

وفي الظروف الصعبة التي تنعدم فيها دولة الإسلام إذا أُخرج من صف الجماعة بعض الأشرار المنافقين فإن هذا الإخراج براءة ومفاصلة، فلا ينبغي إعادتهم في الصفّ حتى يُحدثوا توبةً وإصلاحاً واستقامة تظهر في الواقع ويشهد على تحقّقها المؤمنون. وليست البراءة من المنافقين كهجران المؤمنين الذين يُذنبون فيعاقبون بالهجران أحياناً، أطالت المدّة أم قصّرت، فإن هذا الهجران اختِبار يظهر حقيقة الإنسان، فإن كان مؤمناً يظهر إيمانه بجلاء للمؤمنين وتظهر محبته لهم في الله ومعاداته لأعدائهم يظهر هذا كله وهو يمرّ بأصعب الظروف وأشدّها قساوة.

أما المنافق فإنه لا يعاقب بالهجران لأنه معروف بالنفاق ولا يحتاج المؤمنون إلى امتحانه بالهجران أو بغيره، فهو إما أن يُقتل في دولة الإسلام - وإما أن يُترك ذليلاً حقيراً في المجتمع رعاية لبعض المصالح. وأما عند انعدام دولة الإسلام وفقدان استطاعة قتله وإذلاله فإنه تجب البراءة منه ومفاصلته ما أقام على نفاقه.

قال الإمام ابن القيم في "زاد المعاد" "وفي هي النبي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف دليل على صدقهم وكذب الباقي، فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب، وأما المنافقون فجرمهم أعظم من أن يقابل بالهجر فدواء هذا المرض لا يعمل في مرض النفاق ولا فائدة فيه، وهكذا يفعل الربّ سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلّة وهفوة فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأمّا من سقط من عينه وهان عليه فإنه يُخلّى بينه وبين معاصيه وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة، والمغرور يظنّ أن ذلك من كراماته عليه ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة وأنه يريد به العذاب الشديد والعقوبة التي لا عاقبة معها. كما جاء في الحديث المشهور: {إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبده شراً أمسك عنه عقوبته في الدنيا فيرد يوم القيامة بذنوبه} [رواه

الترمذى/والحاكم].

وقال ردّاً لمن قال: "أن النبي ﷺ ترك قتل المنافقين لعدم قيام البيّنة عليهم":  
 "وفي هذا الجواب نظراً، فإن نفاق عبد الله بن أبيّ وأقواله في النفاق كانت كثيرة جداً كالمتواترة  
 عند النبي ﷺ وأصحابه، وبعضهم أقرّ بلسانه وقال: "إنما كنا نخوض ونلعب" وقد واجهه بعض  
 الخوارج في وجهه بقوله: "إنك لم تعدل" والنبي ﷺ لما قيل له: "ألا تقتلهم؟" لم يقل: ما قامت  
 عليهم بيّنة بل قال: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه".  
 والجواب الصحيح إذاً أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب  
 على رسول الله ﷺ وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتله تنفير، والإسلام بعد في غربة،  
 ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في  
 طاعته، وهذا أمرٌ كان يختصّ بحال حياته ﷺ".

وقبل إنهاء الحديث عن المنافقين لا بدّ من بيان أربع مسائل اشتهت على بعض الناس فلم يدروا  
 جوابها الصحيح، وهي من المسائل التي لها خطورتها إذا لم تتحد كلمة المسلمين فيها، لكونها ممّا  
 قد يسبّب لهم التفرّق والشقاق المضرّ للحركة الإسلامية.

**{الأولى}** يقول بعض الناس إن المسلمين الذين وحّدوا الله وتبرّؤا من الشرك وأهله يجب  
 تقسيمهم إلى قسمين هما: (١) مؤمنون متقون. (٢) مؤمنون مذنبون (أهل الكبائر)، أما  
 المنافقون فلا سبيل إلى معرفتهم بعد انقطاع الوحي.

**[الجواب]** إن هذا التقسيم ليس صحيحاً لأن الله تعالى هو الذي قسم الناس إلى ثلاثة أقسام  
 وهم:

"المؤمنون" و"المشركون" و"المنافقون"، ولم يصدر من الله ورسوله نصٌّ يُقرّر خلاف ذلك، ولا  
 نصٌّ يقرّر استحالة معرفة المنافقين بعد انقطاع الوحي. ولكن الصحيح الثابت هو أن الله بيّن في  
 كتابه حقيقة الإيمان وصفات أهله كي نعلم أن من اتّصف بصفات أهل الإيمان فهو منهم،  
 وبهذه القاعدة يمكن معرفة المؤمنين إلى يوم القيامة ولا ننتظر من الوحي -الكتاب والسنة-  
 قائمة فيها أسماء المؤمنين إلى يوم القيامة.

قال الإمام عليّ بن أبي طالب: "اعرف الحق تعرف أهله"

وكذلك بيّن الله في كتابه حقيقة الشرك وصفات أهله وذلك كي نعلم أن من اتّصف بصفات أهل الشرك واعتقد اعتقادهم لا يكون إلا منهم، وبهذا نقدر على معرفة أهل الإشراك إلى يوم القيامة، ولا ننتظر من الوحي أن يعطينا قائمةً فيها أسماء المشركين إلى يوم القيامة. ويمثل ذلك بيّن الله حقيقة النفاق وصفات أهله بياناً كافياً شافياً فمن ظهر منه النفاق واتّصف بصفات أهله لا نعدّه إلاّ منهم، وقد مرّ بك قول الإمام ابن كثير: "ولهذا نبّه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلاّ يَغْتَرّ بظاهر أمرهم المؤمنون ... إلخ"

ومن الجهل والبلادة أن يقرأ المسلم كتاب الله المشحون بذكر النفاق والمنافقين ثم يستهين بأمر المنافقين ويظنّ أنهم كانوا موجودين في زمن نزول القرآن ثم انتهى أمرهم. ولا شكّ أن هذا انحراف يؤدي إلى تكذيب جزء كبير من كتاب الله ومعارضة لما قرّره الله تعالى بالأهواء والآراء.

قال الإمام ابن تيمية: "إن كثيراً من المتأخّرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدلٌ أو فاسق وأعرضوا عن حكم المنافقين، والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة، والنفاق شعبٌ كثيرة، وقد كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم" [الفتاوى: م ٧-ص ٢١٢]. هذا الذي يُقرّره شيخ الإسلام هو الحقّ الصريح الموافق لأدلة الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ومن أحبّ أن يعرف مذهب الصحابة في هذه المسألة يكفيه قول حذيفة المتقدّم: "المنافقون اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله ﷺ كان يومئذ يسرّ واليوم يُجهر" [البخاري].

وقول الفاروق الذي بيّن فيه القاعدة المتبعة في التعامل مع أهل النفاق بعد انقطاع الوحي. وإذا لم تتحد كلمة المسلمين في هذه المسألة فإنه سينشأ من ذلك تفرّق ونزاعٌ لا نهاية له. فعندما يرى البعض أن فيهم منافقين ويرون جهادهم واجباً دينياً يتقرّبون إلى الله به فإن البعض الآخر يعارض ويقول قد انقطع الوحي ولا سبيل إلى معرفة المنافقين والناس على قسمين عدول وفساق، كلّهم مسلمون، حرام علينا دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وعند التنازع يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة، وهما يقرّران صحّة الفكرة الأولى وبطلان الثانية وعلى المسلمين إتباع أمر الله والتسليم لأحكامه.



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب].

**{الثانية}** يقول البعض: أن المسلم الذي برئ من الشرك وأهله إذا وقع في النفاق جاهلاً لا يكون منافقاً بل يُعذر بالجهل لأن الله يغفر ما دون الشرك به لمن يشاء.

**[الجواب]** يتبين بطلان هذه الفكرة من وجهين:

{١} إنَّ النفاق من الكفر الأكبر الذي يكون صاحبه خالداً مخلداً في النار، ويكون في دركها الأسفل. وليس دون الشرك بالله .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء]

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء] .

ولم يعذر الله تعالى أهل الشرك الأكبر بالجهل وإنما وصفهم بالشرك والجهل معاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة]

ومثلهم المنافقون والملحدون ومنكرو البعث والحساب ومتبعو الكذابين المتبئين وغيرهم من أهل الكفر الأكبر. فكل أولئك من الكفار الخالدين في النار ولا يُعذرون بالجهل عند أهل الحق.

{٢} إنَّ بعض الصحابة الذين أسلموا تكلموا بكلمات كفر ولم يكونوا يرون أنهم يكفرون بمجرد ذلك، ولم يكونوا يقصدون الوقوع في الكفر كذلك فأنزل الله تعالى آيات تبين أنهم كفروا ودخلوا في زمرة المنافقين.

قال الإمام ابن تيمية: "قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فاعترفوا واعتذروا، ولهذا قيل: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة].

فدلَّ على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً. بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فيبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدلَّ على أنه كان عندهم إيمان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه كفراً، وكان كفراً كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه، وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة المنافقين الذين ضرب لهم

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

المثل في سورة البقرة أنهم أبصروا ثم عموا وعرفوا ثم أنكروا، وآمنوا ثم كفروا. وكذلك قال قتادة و مجاهد: "ضرب المثل لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول وذهاب نورهم". قال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى ما كانوا عليه. [الفتاوى: م ٧-ص ٢٧٤].

وكما نافق بعض الصحابة بأقوال صدرت منهم، نافق بعضهم بأفعال وقعت منهم كالذين انسحبوا من موقعة "أحد" قبل القتال فأنزل الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

قال الإمام ابن تيمية عن هذه الآية: "بيّن أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقرب منهم بل إما أن يتساوا وإما أن يكونوا للإيمان أقرب، وكذلك كان، فإن "ابن أبي" لما انخرل عن النبي ﷺ يوم أحد انخرل معه ثلث الناس قيل: كانوا نحو ثلاثمائة، وهؤلاء لم يكونوا قبل ذلك كلّهم منافقين في الباطن، إذ لم يكن لهم داع إلى النفاق. فإن "ابن أبي" كان مظهرًا لطاعة النبي ﷺ والإيمان به، وكان كلّ يوم جمعة يقوم خطيباً في المسجد يأمر بإتباع النبي ﷺ، ولم يكن ما في قلبه يظهر إلاّ لقليل من الناس إن ظهر وكان معظماً في قومه كانوا قد عزموا على أن يتوجوه ويجعلوه مثل الملك عليهم، فلما جاءت النبوة بطل ذلك فحمله الحسد على النفاق، وإلاّ فلم يكن له قبل ذلك دين يدعوا إليه، وإنما كان هذا في اليهود. فلما جاء النبي ﷺ بدینه وقد أظهر الله حسنه ونوره مالت إليه القلوب، لا سيما لما نصره الله يوم بدر ونصره على يهود بني قينقاع صار معه الدّين والدنيا، فكان المقتضى للإيمان في عامة الأنصار قائماً. وكان كثير منهم يُعظّم "ابن أبي" تعظيماً كثيراً ويواليه ولم يكن "ابن أبي" أظهر مخالفة توجب الامتياز، فلما انخرل يوم أحد وقال: "يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان" أو كما قال "انخرل معه خلق كثير، منهم من لم ينافق قبل ذلك" [الفتاوى: م ٧-ص ٢٧٩].

**{الثالثة}** يقول بعض الناس لا يمكن وجود منافقين إلاّ في دار الإسلام عندما تكون الغلبة للمسلمين ويخاف الكافر من القتل حينئذٍ ينافق من ينافق منهم، أما قبل ذلك فإن الكافر يُظهر كفره وليس هناك ما يُلجئه إلى النفاق!!

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

**[الجواب]:** لاشكّ أن قوّة الإسلام وغلبة جيوشه تلجئ بعض المشركين إلى التظاهر بالإسلام من غير اعتقاد القلب صيانة للمال والأهل، ولكن مع وجود هذه الحقيقة لا يجوز إطلاق القول بأن المنافقين لا يوجدون إلّا في دار الإسلام ودولته. لأنّ النفاق شعبٌ كثيرة، والمنافقون أصناف متعدّدة متفاوتة في درجة النفاق ونوعه. وأولئك الذين يتظاهرون بالإسلام خوف القتل ما هم إلّا صنف واحد من أصناف المنافقين. وإليك بعض الإيضاحات التي تبين خطأ ذلك الإطلاق الذي يحصر المنافقين في دار الإسلام :

(١) قد يكون سبب إظهار الإسلام "الطمع"، حيث يُظهرون الإسلام للحصول على مكااسب مادية كالمال أو السلطة أو الزوجة. وعند ما يضطهد المشركون المؤمنين ويعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم يقلّ أو ينعدم من يُظهر الإسلام وغرضه الدنيا. كما ينعدم من هو من المنافقين ومع ذلك يصبر على البلاء والعذاب والقتل كما كان الحال في مكة قبل الهجرة. غير أنه يمكن في بعض الأحيان أن يوجد مسلمون في دار الكفر آمنون لا يُعذبون ولا يقتلون، كالصحاباء الذين كانوا في أرض الحبشة، ففي مثل تلك الحال لا يُستبعد وجود منافقين يُظهرون الإسلام للدنيا .. لأن الإنسان يجد في داخل التجمع الإسلامي من الرحمة والتعاطف والإيثار ما لا يجده في التجمع الجاهلي، وذلك مما يحفز الناس إلى الانضمام إلى التجمع الإسلامي صادقين وكاذبين ثم يأتي التمحيص من الله بالابتلاءات الموعودة.

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت].

وبالابتلاءات يرتدّ المنافقون وضعفاء الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج].

والمنافقون عند ما يزعمون الإيمان كاذبون في زعمهم، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة].

والكذب ليس له زمن ومكان، فمتى كان الإنسان فاجراً لا يخشى الله فإنه يقول الكذب خوفاً أو طمعاً، في دار الإسلام أو في دار الكفر. والتجربة الواقعية شاهدة على ذلك .

وأحياناً يقع الإنسان في النفاق جاهلاً ويصير منافقاً وهو يظنّ أنه من المهتدين، كالذين استهزؤا

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

بالقرءاء، وقال عنهم الإمام ابن تيمية: "كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرّم، ولكن لم يظنّوه كفراً وكان كفراً كفروا به" [الفتاوى: م ٧/ص ٧٣].  
فإن ثبت ذلك فاعلم أن الجهل ليس له زمان ومكان، فكما أن الجهل يجعل الإنسان منافقاً وهو في دار الإسلام كذلك يجعله منافقاً وهو في دار الكفر. وكما أن بعض الصحابة نافقوا بسبب استهزائهم بالقرءاء، فإن غير الصحابة ينافقون كذلك بالاستهزاء بالقرءاء، فإن الأرض لا تقدّس أحداً ولا تخفّف عنه الإثم .

(٢) إن الإنسان إذا سلك مسلك أهل النفاق يلحق به اسم "المنافق" ولو كان وحده في دار الكفر التي هاجر منها المؤمنون. ويدلّ على ذلك :  
{أ} ما قاله المفسرون في آيات سورة العنكبوت :

قال قتادة: قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ﴾ قال: "هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردّهم المشركون إلى مكة" [الطبري].

قال الضحاك: "نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فإذا أُوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله" [الطبري].  
وقال ابن زيد: "هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجع عن الدين وكفر وجعل فتنة الناس كعذاب الله". [الطبري].

فيتبيّن من ذلك أن نفاق هذا الصنف لم يكن سببه "الخوف" من سلطة المسلمين ولا "الطمع" فيما عندهم، وإنما هو عدم الصبر على أذى المشركين. فالذي يستجيب لدعوة التوحيد والإسلام في وقت الأمن ويفتن بالتعذيب والخوف من المشركين، ثم يعود إلى الإسلام إذا عاد الأمن، يكون هذا المستجيب "منافقاً" سواء كان وحده في دار الكفر أو كان ينتمي لجماعة مسلمة. لأنه لم يحقق الإيمان الذي ينجو به صاحبه من عذاب الله. فإن المؤمن الحق لا يفارق دينه في جميع الأحوال وإن كان يجوز له التكلم بالكفر عند الإكراه إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل].  
فمن تكلم بالكفر من غير إكراه أو تقية فقد شرح بالكفر صدراً وكفر بالله بعد إيمانه، وإن ظن أن إيمانه صحيح.

### {ب} ما قاله المفسرون في آيات سورة النساء :

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ...الآيات﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وذلك أن قوما كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام- فليس علينا منهم بأس!! وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الخيلاء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم!! وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله -أو كما قالوا- أقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟ من أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم؟ تُستحل دماءهم وأموالهم لذلك؟! فكانوا كذلك ففتين. والرسول عليه الصلاة والسلام عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء. فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [النساء].

{ج} إن نبي الله لوط عليه السلام كان يعيش في بيئة جاهلية وقوم كافرين وكانت امرأته "مناقة" تظهر الإسلام وتبطن الكفر .

قال ابن تيمية: "وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين ولم تكن من المخرجين الذين نجوا، بل كانت من الغابرين، الباقين في العذاب وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها على دينهم، خائفة لزوجها تدل قومها على أضيافه. كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةً نُوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا...﴾ وكانت خيانتهم لهما في الدين لا في الفراش. فإنه ما بغت امرأة نبي قط، إذ "نكاح الكافرة" قد يجوز في بعض الشرائع ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات وأما "نكاح البغي" فهو ديانة. وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوثاً" [الفتاوى: ٧م: ص ٤٧٣].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

(٣) إن الأسماء الشرعية كلّها مثل: الكافر والمشرّك والمنافق والمبتدع تُطلق على إنسان له عقيدة وسلوك بغض النظر عن زمانه ومكانه فمثلاً:

**الكافر:** هو كلّ إنسان كفر نعمة الله وترك الشكران الواجب عليه وفارق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر... سواء كان في دار الكفر أو في دار الإسلام في الأمم القديمة أو الحديثة .

**المشرّك:** هو كلّ إنسان عبد غير الله مع الله أو من دون الله، فاستحقّ هذا الاسم لإشراكه بربه في العبادة وجعله له أنداداً يحبُّهم كحبّ الله سواء كان في دار الإسلام أو في دار الكفر في الأولين أو في الآخرين .

**المنافق:** هو كلّ إنسان يُظهر الإسلام وهو عند الله من الكافرين أي كلّ من يدّعي الإيمان من غير أن يحقّق الإيمان الذي به نجاة الإنسان سواء كان في دار الكفر أو في دار الإسلام في العصور الأولى أو الآخرة

**المبتدع:** هو كلّ مسلم اعتقد عقيدة مخالفة لما دلّت عليه آيات الكتاب أو ابتدّع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان ونيّته بلوغ رضى الله والجنّة. سواء كان في دار الإسلام أو في دار الكفر، في الزمن الأول أو الآخر.

وقل مثل ذلك في المسلم والمؤمن والمحسن... الخ .

والله تعالى يذكر في كتابه الصفات والأعمال والعقائد التي يتّصف بها المؤمنون، كما يذكر الصفات والأعمال والعقائد الخاصة بأهل الكفر والنفاق كي لا يختلط حزب الله بحزب الشيطان في واقع الحياة، فيقع المؤمن في حيرة واضطراب لا يدري أهل الموالاة من أهل المعاداة. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام].

**{الرابعة}** يقول البعض: "لا يمكن التمييز بين المنافق وبين المسلم المذنب لأن كليهما يدّعي الإسلام ويفعل الذنوب!!".

**[الجواب]** توجد صفات خاصة بأهل النفاق لا تقع من أهل الإيمان، فإن ظهرت هذه الصفات فمن كان قبل ذلك مؤمناً فإنه يصير بها منافقاً ويدعى إلى الإيمان والتوبة، فإن أصرّ عليها عدّ من المصيرين على النفاق. فإن كان الإنسان في الحقيقة منافقاً قادراً على إخفاء نفاقه وتظاهر

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

بالاستقامة والصلاح، فإنه يعدّ من أهل الإيمان في الدنيا وله ما للمسلمين والله يتولّى السرائر. على أنه ينبغي أن ندرك أن التظاهر الكاذب بالإيمان عمره قصير، وسرعان ما ينكشف بالابتلاءات المتنوعة من الله فتظهر نواياهم الخبيثة وما كانوا يكتنون للمؤمنين من ضغائن وأحقادٍ، تظهر وهي في صورة أقوال وأعمال.

قال الله تعالى: ﴿الْم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت].

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد].

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران].

إن الإنسان الذي يصفه الشرع بالنفاق هو إنسان يدّعي الإيمان بالله والإسلام لله ويُظهر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويأتي ببقية أركان الإسلام، وهذا هو عين ما يدّعيه المؤمن ويُظهره، وإذا فإن الفارق الذي يميز بين الفريقين المؤمنين والمنافقين هو شيء آخر غير ما يُظهره الفريقان من الإيمان والإسلام، إنَّ الفارق هو ما يظهر من المنافق أحياناً من عقائد وأعمال منافية للإيمان ولا تصدر من المؤمن الحقّ. وهذه العقائد والأعمال لو أظهرها ثم أصرّ عليها لكان مرتداً محكوماً بالقتل، ولكي لا يُقتل فإنه يتملّص ويأبى الاعتراف بذنبه ويحلف بالله كاذباً، أو يعتذر باعتذارات معقولة ويدّعي التوبة.

فإذا عُرف الإنسان بالنفاق فما يقع منه بعد ذلك من كبائر الذنوب وصغائرها فإنها تكون ذنوباً تقع من منافق معروف. وإذا لم يُعرف الإنسان بالنفاق وطهره الله منه فما يقع منه بعد ذلك من كبائر أو صغائر فإنها تكون ذنوباً تقع من مسلم. إن المسلم الصادق مهما يكن كثير الذنوب فإن سلوكه وطريقة تعامله مع ربه ومع عباده المؤمنين يُختلف من سلوك المنافق وطريقته في التعامل مع الله ومع المؤمنين. والسبب الجوهرى لهذا الاختلاف يعود إلى الاختلاف والفرق الذي بين قلوب أهل الإيمان وأهل النفاق، فإن الفرق بين قلوب الصنفين كبير، والتفاوت في العلم واليقين والإخلاص والإذعان والخوف والمحبة التي في قلوب الصنفين تجعل من المستحيل أن يتفقا في السلوك وطريقة التعامل مع الله وخلقه اتفاقاً دائماً كالذي بين المؤمنين الصادقين وبعضهم. إن المؤمن على بينة ويقين من ربه وما أعدّه من ثواب وعقابٍ لعباده. ولذلك استقرّ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

الخوف من عذاب الله والرجاء لرحمته في قلبه كما استقرّ فيه الخضوع والإذعان والرضي بطاعة الله، وليس في قلبه استكبار عن الطاعة فهو لا يردّ أمراً صادراً من الله بل يتلقاه بالرضي والقبول. يقول تعالى في صفتهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ . الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُصِمِّي الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب].

هذه هي الصفات العامة البارزة لأهل الإيمان، وليس معني ذلك أن الذنب لا يقع من أحد منهم، بل المراد أنهم بسبب علمهم ويقينهم الجازم وخوفهم الدائم صاروا طائعين منقادين لله متواضعين له غير مستكبرين عن عبادته وطاعته، فإن وقع من أحد منهم ذنب فإنه يتوب إلى الله من قريب ولا يصبر عليه. قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

فهم وإن غلبت عليهم الطاعة والاستقامة ليسوا بمعصومين ولا مصرّين على الذنوب، وليسوا كذلك على درجة واحدة من الإيمان والتقوى إنما هم على درجات:

{الدرجة الأولى} هي درجة المحسنين وهم المؤمنون الذين بلغوا من الاستقامة والتقوى أعلى الدرجات، حيث فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وعصمهم الله من الزلات. وهم مع ذلك يطلبون المزيد من الطاعات ويعتدون أنفسهم من المذنبين.



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

{الدرجة الثانية} وهي درجة المؤمنين المقتصدين وهم قوم متّقون عصمهم الله من كبائر الذنوب، ولم يبلغوا درجة المحسنين لتقصيرهم في فعل المستحبات، وهم يحبّون أهل الدرجة الأولى ويقتدون بهم.

{الدرجة الثالثة} وهي درجة قوم آمنوا بالله وعملوا بكتاب الله صادقين مخلصين، ولكنهم زلّوا وضعفوا ووقعوا في الكبائر وهم متفاوتون في الضعف:

(١) منهم من اشتهر بالصلاح والاستقامة ولكن ضعف مرّة واحدة فوقع في الحرام فطلب المخرج والتزكية وإقامة الحدّ عليه ليلقى الله طاهراً من الذنوب كما فعل "ماعر بن مالك" و "الغامدية" وغيرهم .

(٢) ومنهم من يقع في الذنب فيندم ويتوب ويعزم على أن لا يعود ثم بعد مدّة يضعف فيعود فيندم مرّة أخرى ويتوب ويعزم على أن لا يعود فيفعل ذلك مرّات .. وهذا ضعيف يجاهد نفسه ولم يخرج من الإيمان مادام يسعى إلى الصلاح ويحاول أن يغلب ضعفه وهو مع ذلك يكره ما يقع منه ويحبّ الصالحين ويرجوا أن يلحق بهم لا يعاديهم ولا يبغضهم ولا يتولّى غيرهم، .. كالذي جلد في الخمر مرات في عهد النبي ﷺ وقال النبي ﷺ: {لا تلعنوه إنه يحبّ الله ورسوله} أو كما قال. [متفق عليه].

(٣) ومنهم من له ذنوب كثيرة متنوعة دون الكفر الأكبر ولم يخرج من موالاة أهل الإيمان ومحبتهم، ولم يستحلّ ذنوبه بل يحاول المجاهدة ومغالبة شهواته وإن لم ينجح في ذلك. فهذا فيه إيمان ونفاق، ونفاقه نفاق أصغر لا يخرج من الملة ولكن قد يطلق عليه اسم "المنافق" إذا كانت سيئاته أكثر من حسناته لأن الذنوب من شعب الكفر والطاعات من شعب الإيمان

قال الإمام ابن تيمية: "فمن كان فيه إيمان ونفاق يسمّى مسلماً، إذ ليس هو دون المنافق المحض، وإذا كان نفاقه أغلب لم يستحقّ اسم الإيمان، بل اسم المنافق أحقّ به، فإن ما فيه بياض وسواد، وسواده أكثر من بياضه هو باسم الأسود أحقّ منه باسم الأبيض كما قال تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الفتاوى: ٧/٣٥٢].

إن المسلم الصادق الذي صحّ إيمانه بالله - وإن كثرت ذنوبه - يختلف سلوكه عن سلوك المنافق الخالص، لأن عمل الإنسان مرتبط بإيمانه واعتقاده القلبي، فالؤمن - وإن كثرت ذنوبه - يختلف عن المنافق في الاعتقاد القلبي والسلوك العملي. وإليك بيان أهم ما يميّز بينهما:

## {الأول} "البراءة من أهل الشرك":

إن البراءة من أهل الشرك من مقتضى التوحيد، ولا يقبل من أحد إسلامه الظاهر إذا كان ينكر البراءة من أهل الشرك، وهذه البراءة لا تتأخر عن البراءة من الشرك، والصادق في إدعاء البراءة من الشرك يكون في نفس الوقت بريئاً من أهل الشرك. والمنافق يدعي هذه البراءة من الشرك وأهله كما يدعيها المؤمن، ولكنهما يفترقان في السلوك والعمل:

فالمؤمن يحقق هذه البراءة عملياً فيبغض أهل الشرك في الله ولا يوافقهم في فعل المنكرات ولا يواليهم بل يعاديهم في الله، ولا تكون بينه وبينهم علاقات غير ما يبيحه الشرع. وهذه صفة عامة للمؤمنين بدرجاتهم الثلاث. أما "المنافق" فإنه يدعي تلك البراءة ويعمل بخلافها سرّاً، فيتودّد إلى المشركين ويحبّهم ويحبّ مجالسهم، ويغضب لقومه المشركين وينصرهم سرّاً، وكلّما انكشف أمره أنكر أو اعتذر أو قال: أتوب الآن. فلا شك في نفاق من صار حاله كذلك .

## {الثاني} "موالاة أهل الإيمان":

وهي كذلك من مقتضى التوحيد، ولا يصحّ من أحد إسلام وهو ينكر موالاة حزب الله، والمنافق يدعي هذه الموالاة كما يدعيها المؤمن، ولكن تحقيقها في السلوك والعمل هو الفارق بين أهل الإيمان وأهل النفاق. ...

◀ وكلمة "الولاء" تحمل معنى "القرب" فيظهر من سلوك المؤمن أنه "قريب" للمؤمنين و "أخ" لهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويهتم بشؤونهم ولا ييخل عنهم شيئاً يقدر على بذله، وهذه صفة عامة للمؤمنين بمراتبهم الثلاث.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات]

وفي الحديث: {المسلم أخو المسلم}. أما المنافق فإنه يظهر من سلوكه الواقعي أنه "بعيد" عن أهل الإيمان لا يشاركهم في الأفراح والأحزان ولا يطمعون فيما عنده وأنه "قريب" لأهل الشرّ والنفاق يصاحبهم وينفق عليهم ولا يفتقدونه.

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة].

وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ [التوبة].

◀ وكلمة "الولاء" تحمل معنى "الحب" فيظهر من سلوك المؤمن أنه "يحب" المؤمنين ويسعى في

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قضاء حوائجهم ويلازمهم ويستفيد منهم ويطلب استغفارهم ولا يذكرهم إلا بالخير. قال تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال] وقال تعالى: ﴿مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر].

وفي الحديث الصحيح: {مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى} . وهذه صفة عامة للمؤمنين بمراتبهم الثلاث. أمّا المنافق فإنه يبغض أهل الإيمان ويحمله البغض على تحقيرهم والاستهزاء بهم والافتراء عليهم والفرح بمصيبتهم والحزن عند ما ينالون خيراً.

قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] .

وفي الحديث الصحيح: {آية الإيمان حبّ الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار} .

◀ وكلمة "الولاء" تحمل معنى "النصرة" فيظهر من سلوك المؤمن أنه قائم بالنصرة لأهل الإيمان ينصرهم بنفسه وماله ورأيه ودعائه ونصائحه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة] .

قال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال] .

قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة] .

وقال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح] .

وفي الحديث الصحيح: {المؤمن للمؤمن كالبنیان يشدّ بعضه بعضاً}

وفي الحديث الصحيح: {بايعني رسول الله ﷺ على الإسلام والنصح لكلّ مسلم} .

وهذه صفة عامة لأهل الإيمان بمراتبهم الثلاث.

أما المنافق فإنه يظهر من سلوكه خذلانه لأهل الإيمان يقعد عن نصرتهم في السلم والحرب، أما في السلم فإنه يتأذي بواقع المسلمين وكثرة فقرائهم الذين جاؤا طلباً للدين وتركوا أموالهم وديارهم في الله، فيخل ويأمر بالخل.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء] .

وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة] .

وقال تعالى: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون] .

أما في الحرب فإنهم يخذلون المؤمنين ويفسدون فيما بينهم، كما خذل عبد الله بن أبي النبي ﷺ يوم أحد:

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَاْتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا حِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة]

◀ وكلمة الولاء تحمل معنى "الطاعة" فيظهر من سلوك المؤمن أنه مطيع ناصح للقيادة الإسلامية ويرى هذه الطاعة عبادة لله، لأنه هو الذي أمرها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء] .

وفي الحديث: {من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني} [متفق عليه] .

فطاعة القيادة الإسلامية بالمعروف صفة عامة لأهل الإيمان بمراتبهم الثلاث، أما المنافق فإنه يظهر من سلوكه الشقاق والعصيان للقيادة، والاستنكاف عن تنفيذ الأوامر الصادرة منها ومعارضتها وبحث العيوب لها.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء] .  
وعن محمد بن زيد أن ناساً قالوا لجدّه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما تتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: "كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ". [البخاري] .

وعندما يعارض المنافقون الأوامر الصادرة من القيادة ويبحثون لها العيوب، يريدون أن يظهروا

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

أمام الناس بأنهم الحكماء وغيرهم السفهاء كما قال "ابن أبي": "يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان". وقال مرة أخرى: "أمرتموني أن أؤمن فأمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد" [ابن جرير]

فهو يريد أن يظهر أمام الناس بمظهر المؤمن الفارّ بدينه من فتنة الشرك وعبادة غير الله، وأنه عندما يخالف النبي ﷺ يريد أن يحقق التوحيد وأن لا يؤلّه غير الله، وهو في الحقيقة الفارّ من تحقيق التوحيد وإتباع الشريعة الإلهية التي تأمر بطاعة النبي ﷺ خاصة والقيادة الإسلامية عامة

### {الثالث} "حبّ الإيمان وكراهية الكفر والعصيان":

إن المؤمنين بجميع مراتبهم يحبّون الإيمان والأعمال الصالحة ويحبّون للناس الاستقامة والصلاح، فإن وقع من أحدهم ذنب ندم وتاب وشعر بظلمه ونقصانه وتخلّفه عن موكب الصالحين، أي أن الذنب يقع من المؤمن ولكن في قلبه إيمان يدفعه ويجاهده ويمنعه من التماذي فيه والإصرار عليه أو استحلاله .

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات] .

وجاء في الحديث: {من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن} .

فإذا استحلّ الإنسان فعل المعاصي وعزم على المداومة عليها وزالت كراهيتها من قلبه فقد خرج من الإيمان إلى النفاق أو إلى الردّة الظاهرة، وذلك بحسب إخفائه لكفره وإظهاره له .

وإن لم يعزم من قلبه على استحلال المحرّمات، ولكن تغلبه نفسه فتوقعه في النفاق العملي - الذنوب - حتى تكون سيئاته غالبية على حسناته، فإنه يكون مستحقاً لاسم المنافق حتى يتوب، كما قلنا سابقاً، ويدلّ على ذلك: الحديث الصحيح: {آية المنافق ثلاث - وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم -: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان} .

والحديث الصحيح: {أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهنّ كان فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر} .

وهذا القدر من البيان يكفي لمعرفة بعض ما يميّز المؤمن من المنافق، ومن عرف ذلك ينبغي

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

كذلك أن يعرف أنه كلما وجد مؤمنون صادقون يوجد منافقون ومشركون ومرتدون، لأن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، وللضلال طرق ومذاهب متنوعة تبيّنها شريعة الله. ومما لا شكّ فيه أن جيل الصحابة رضوان الله كانوا أفضل الأجيال البشرية في الإيمان والعمل الصالح ومع ذلك كان المنافقون كثيرين جداً، حتى قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقد سمع رجلاً يقول: "اللهم أهلك المنافقين". "يا ابن أخي، لو هلك المنافقون لا ستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك".

وينبغي كذلك أن يعرف أنه كلما ازداد المرء إيماناً ازداد خوفاً من النفاق، وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- أفضل المؤمنين إيماناً وأكثرهم خوفاً من النفاق.

### قال الإمام ابن القيم في {مدارج السالكين}

"تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلمهم بدقّه وجلّه وتفصيله وجمله، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين. قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: "يا حذيفة نشدتك بالله هل سمّاني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم؟" قال: لا، ولا أزكي بعدك أحداً"

قال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلّهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول: أن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل" ذكره البخاري. وذكره الحسن البصري: "ما أمنه إلا منافق وما خافه إلا مؤمن"

ولقد ذكر عن بعض الصحابة أنه كان يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق" قيل: "وما خشوع النفاق؟" قال: "أن يري البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع".



## {المرتبة الرابعة} وهم أهل البدع

والبدعة: هي ما استحدث في الدين. و"أبدع يبدع إبداعاً" أنشأ الشيء على غير مثال سابق، فهو "مبدع" و "بديع" قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
و"ابتدع يبتدع ابتداءً" أحدث البدعة وأدخل في الدين ما ليس منه، فهو "مبتدع". والابتداع في دين الله أمرٌ مذموم محرّم، لأن الله وصف دينه بالكمال والتمام، فلا يحتاج من أحد من العبيد إلى إكمال وإتمام .

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة]

وكان ﷺ يقول في الخطبة: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" [مسلم].  
وقال ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ" [مسلم] .

واعلم أن البدع المعروفة في تاريخ الإسلام التي وقع فيها من وقع من المنتسبين إلى الإسلام كانت على ثلاث درجات في الغلو :

{الأولى} هي البدع التي تنقض أصل الإيمان، كمن اعتقد أن الله له شريك يستحقّ العبادة أو أن محمد ﷺ لم يكن رسولاً، أو لم يكن رسولاً للناس كافة، أو أنه لم يكن خاتم النبيين، أو أن رجلاً بعده صار نبياً، أو أن الله لم ينزل القرآن أو بعضه، أو اعتقد أن لا جنة ولا نار، أو أنكر وجود الملائكة. فمن وقع في شيء من ذلك صار مرتدّاً في الحال إن كان قبل ذلك مسلماً، ولا يعذر بالجهل وتجري عليه أحكام أهل الردّة.

ومن أشهر الفرق التي أتت بما ينقض الإيمان وهي لا تزال تزعم أنها مؤمنة مسلمة ما سنذكره إن شاء الله كأمثلة :

بنو حنيفة: وهم فرع كبير من قبيلة "بكر بن وائل" من "ربيعة بن نزار" ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وصدّقت بنبوة "مسيلمة الكذاب" وكانوا يقولون "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ولم يكن ذلك كافياً في إسلامهم لاعتقادهم ما ينقض ذلك من نبوة الكذاب، فصاروا مرتدين في ميزان الإسلام، وقتلهم الصحابة وظهروا عليهم في موقعة "اليمامة" المشهورة التي قُتل فيها "مسيلمة الكذاب" وغالب أتباعه، واستشهد فيها أعدادٌ كثيرة من المهاجرين والأنصار

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

منهم سبعون من حملة القرآن. وكان ذلك في سنة ١٢ من الهجرة في خلافة الصديق رضي الله عنه .

**السبئية:** وهم أتباع "عبد الله بن سبأ" الزنديق، أحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار لما وصفوه بالألوهية، فدعاهم إلى التوبة فأبوا. ولم يختلف الصحابة رضوان الله عليهم في كفرهم وقتلهم، ولكن أنكر ابن عباس رضي الله عنهما التحريق وكان يرى قتلهم بالسيف. فمن اعتقد ألوهية أحد غير الله فقد نقض شهادته بأن "لا إله إلا الله" وارتدّ عن الإسلام.

**الإسماعيلية:** وكانوا فرقة كثيرة تعتقد أنّ علياً رضي الله عنه والأئمة من أهل البيت آلهة من دون الله، وقالوا: إن الإمام بعد "جعفر الصادق" ليس "موسى الكاظم" وإنما هو "إسماعيل بن جعفر" ثم ابنه "محمد بن إسماعيل". ويقولون إن شريعة "محمد بن إسماعيل" قد نسخت شريعة "محمد بن عبد الله ﷺ". وهم يستحلّون الخمر وغيرها من الفواحش، ولا يوجبون الصلاة والصيام والحجّ. ويعدّ من فرق الإسماعيلية كلّ من "القرامطة" و"بنو عبيد القداح" و"الدرزية" و"الحشاشون".

**النصيرية:** وهم أتباع "أبي شعيب محمد بن نصير" وكان من الغلاة الذين يقولون: إن علياً إله. وهم كالإسماعيلية في الانسلاخ من شريعة الإسلام والكفر برّب العالمين.

الفرق الصوفية الباطنية: وهي كلّ فرقة تدّعي المعرفة واليقين والزهد مع اعتقادهم بألوهية المشايخ والأولياء، وغالب هذه الفرق تستحلّ الخروج عن الشريعة بإدّعاء أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وأن من وافق العلم الباطن لا يؤاخذ بما خالف من ظاهر الشريعة.

**أهل الحلول والاتحاد:** وهم الذين اعتقدوا أن الله هو هذا العالم الماديّ، وقالوا بوحدة الوجود، وأنكروا التفريق بين خالق ومخلوق. ويقولون: إن النصارى كفروا بالتخصيص، ومن أئمتهم "ابن عربي" صاحب "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم". قال ابن تيمية: "من شكّ في كفر طائفة "ابن عربي" فهو كافر".

هذه الفرق هي الفرق الكافرة المشهورة التي ظلّت مع كفرها تنتمي إلى الإسلام، بل تدّعي أن الحقّ معها، وقد صار لبعضها في بعض الأحيان قوّة ودولة، كالقرامطة وبنو عبيد القداح، وكان المسلمون يتعاملون معهم تعامل الكفار، وكان الفرد منهم إذا أظهر اعتقاده يُقتل كافراً



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

مرتدًا، وكذلك الجماعة منهم إذا أظهروا اعتقادهم وامتنعوا يُقاتلون. أما من أخفى اعتقاده سواء كان فرداً أو جماعة فإنه يُعتبر في ميزان الشريعة منافقاً له ما للمنافقين في الدنيا والآخرة. وهذه الفرق ليست داخلية في جملة الفرق المبتدعة المعروفة بأهل الأهواء، فالفرق المبتدعة في اصطلاح علماء الإسلام هي التي لا ينتقض إيمانها ببدعتها في الحال، قبل قيام الحجة الرسالية عليهم، بل تظلّ معدودة في الأمة الإسلامية حتى تقوم على فرد منهم أو جماعة الحجة الكافية في إزالة الإشكال والاشتباه، فمن عاند بعد قيام الحجة وكابر فإنه يُقتل كافراً مرتدًا، أما قبل قيامها فإنه يُقال عن المبتدع: "مخطئ ضالٌّ لم تقم عليه الحجة". فهذه هي الفرق المبتدعة في اصطلاح العلماء والتي ورد في الحديث أن عددهم سيبلغ اثنين وسبعين فرقة كلها في النار.

أما الفرق التي انتقض أصل إيمانها كالفرق التي ذكرناها فهي كافرة خارجة عن الملة الإسلامية، وليست من الثنتين والسبعين المذكورة في الحديث. وليس معنى ذلك أنهم لم يأتوا ببدعة، بل المراد أنهم أتوا ببدعة هي كفرٌ وردّةٌ كبدعة اليهود والنصارى ومشركي العرب وقوم نوح وعاد وثمود الذين ابتدعوا وأحدثوا الشرك بالله، وبدّلوا دين الأنبياء قبلهم فسماهم الله كفاراً مشركين. ولذا فإن الأمة إذا أحدثت الكفر بالله واتخذت الكفر ديناً صارت أمة مرتدة كافرة بالله، أما إذا أحدثت بدعة لا تنقض أصل الإيمان فإنها تصير أمة مبتدعة، وهذه البدعة قد تتول بهم إلى الكفر وقد يتوبون منها.

وعندما يتحدّث العلماء عن "هجران المبتدع" فإنهم لا يقصدون هجران المبتدع الذي ارتدّ ببدعة، واعتقد ما ينقض أصل الإيمان كالفرق المذكورة سابقاً، وإنما يقصدون هجران المبتدع الذي لم يرتدّ كلياً عن الإسلام ويُرجى أن ينفعه الهجران وينزجر عن البدعة.

{الثانية} وهي البدع التي لا تنقض أصل الإيمان ابتداءً، ويكون للمبتدع حكم المسلم، ويوصف بأنه مخطئ ضالٌّ في هذه المسألة المعينة، لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، فإن أقيمت عليه الحجة وتبيّن دليلها تبيّناً لا يخفى على مثله فكابر وعاند فإنه يقتل مرتدًا .

ومعلوم أن الردّ على الله والإتيان بقول ينقض خبره أو أمره يجعل صاحبه مكذباً قائلاً على الله بلا علم، والتكذيب على الله ردّةٌ وخروج عن الملة. غير أن الردّ على الله يأتي على صورتين:

(الأولى): وهي ردّ إبليس اللعين وأضرابه من المستكبرين الذين يعارضون الشريعة الإلهية

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

بأفكار عقولهم القاصرة. فإن إبليس اللعين لم ينقد لأمر الله بالسجود لآدم وعارض برأيه قائلاً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ فصار كافراً بإبائه واستكباره وردّه لأمر الله برأيه. ومثله كل من يردّ حكم الكتاب العزيز برأيه، كالطواغيت المعاصرة الذين يستحلّون نبد الكتاب وإقصائه عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قائلين بأنه لا يلائم العصر أو يجرّ علينا سخط العالم المتحضّر، فينقطع عنا ما كان يأتي من جهتهم من مدد ماديّ وأدبيّ .. إلى غير ذلك من أقوال تضاهي قول إبليس اللعين.

(الثانية): وهي ردّ المتأولين المبتدعين: فهم في الغالب لا يردّون النصّ رغبة عنه وحبّاً في المخالفة وآتباع الهوى، وإنما هم يخطئون في فهمه، فيظنون أنه دلّ على شيء لم يدلّ عليه، فإن جاء نصّ يخالف ما اعتقدوه من مفاهيم باطلة ردّوا ذلك النصّ بالتأويل واستمسكوا بما اعتقدوه وهم يظنون أنهم إنما يعتقدون ما يدلّ عليه الكتاب الكريم.

فالخوارج ظنّوا أن القرآن يكفر أهل الكبائر وينفي عنهم الشفاعة في الآخرة. والجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من المعطّلة نفاة الصفات ظنّوا أنهم مأمورون بتوحيد الله وتنزيهه، وأنّ ذلك يقتضي نفي الصفات حتى لا يقعوا في التشبيه والتجسيم المنافي للتنزيه المطلوب. والمرجئة ظنّوا أن القرآن يفرّق بين الإيمان والعمل الصالح، فأخرجوا العمل من مسمّى الإيمان وهم يظنون أنهم متّبعون لا مبتدعون.

فعالب هذه الفرق توافق أهل الحقّ في أنّ الله واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وأنّ محمداً ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وأنه يجب الإيمان بكلّ ما جاء به محمد ﷺ وأنّ القيامة والجنة والنار حقّ، وكذلك الرسل والكتب والملائكة فهم لا يشكّون في شيء من ذلك، ولكنهم أخطأوا في فهم الكتاب فأنحرفوا وأتوا بمفاهيم باطلة يزعمون أنها حقّ موافق للأدلة. فكان مرادهم إصابة الحقّ والابتعاد عن الباطل، ولكنهم ضلّوا الطريق فوقعوا في الباطل وهم يظنون أنهم أهدى سبيلاً من غيرهم. ولذلك يُقال إنّ هذه البدع تقوم على أصلين :

{الأول} طلب العلم بالله من غير خبره.

{الثاني} طلب العمل لله من غير أمره.

أمّا من لم يكن مراده إصابة الحقّ وبلوغ رضى الله، وإنما يتدع البدع رغبة عن الحقّ وحبّاً

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

لمخالفة أوامر الله وأخباره، فإنه لا يطلق عليه اسم "المبتدع" وإنما هو كافر مرتدٌّ إن أظهر ذلك، منافقٌ إن أخفاه.

وإليك ذكر بعض الفرق "المبتدعة" المشهورة ونوع ضلال كلٍّ منها بإيجاز :

(١) {الخوارج}: من أقدم الفرق المبتدعة، كان أول خروجهم في (سنة ٣٧ هـ) بعد عودة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من موقعة "صفين" فخرجوا من جيشه وطاعته ظائنين أنه رضي الله عنه قد كفر برضاه بالتحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله !! فأجاب علي رضي الله عنه: "كلمة حقٍّ أريد بها باطل"، ولذلك سُموا بـ "الحكمة" وسُموا أيضاً بـ "الحرورية" لانحيازهم إلى قرية "حروراء" وناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما فرجع معظمهم وبقي أربعة آلاف على رأيهم، وهم الذين قُتلوا "يوم النهروان"، ولم ينج منهم إلا قليلٌ. والخوارج أخطأوا في فهم حقيقة الإيمان، فهم وإن أدخلوا الأعمال في الإيمان كما هو مذهب السلف إلا أنهم أنكروا زيادته ونقصانه وقالوا: "لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله" ولذلك قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار. ومن أشهر فرقهم:

(أ) الأزارقة: يُنسبون إلى "نافع بن الأزرق" الذي قتل في (سنة ٦٥ هـ) في أيام "عبد الله بن الزبير". والأزارقة من أشدّ فرق الخوارج على قتال المسلمين، وكان قد قوي شأنهم واستولوا على الأهواز بقيادة "قطري بن فجاعة" وكان يدعى "أمير المؤمنين"، وقد قضى على حركتهم "المهلب بن أبي صفرة" في دولة "عبد الملك بن مروان".

(ب) النجدات: نسبة إلى "نجدة بن عامر" الذي استولى على البحرين ونواحيها، قتله أصحابه في سنة (٦٩ هـ).

(ج) الإباضية: ينسبون إلى "عبد الله بن إباح" وكانوا أقرب فرق الخوارج إلى مذهب أهل السنة، وانتشرت أفكارهم في اليمن وعمان وزنجبار وشمال أفريقيا حيث أسسوا في الجزائر دولة تسمى "الدولة الرستمية" في سنة (١٤٤-٢٩٦ هـ)

(٢) {المعتزلة}: سُموا بذلك لأن "واصل بن عطاء" خالف الحسن البصريّ واعتزل مجلسه وجلس هو و"عمرو بن عبيد" وغيرهم في ناحية، فسمّوا بـ "المعتزلة". و"القدرية". وكان سبب الخلاف قول "واصل" وأصحابه بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين فلا هو مؤمن

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

ولا هو كافرٌ وهو مخلد في النار. من أئمتهم: أبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام والجاحظ. ولهم أصول خمسة خالفوا فيها أهل السنة وهي:

[الأول] التوحيد: ومرادهم نفي صفات الله، وظنّوا أن من أثبت لله صفات العلم والقدرة والرحمة... إلخ أنه أثبت التعدد أو وقع في التشبيه.

[الثاني] العدل: ومرادهم نفي مشيئة الله السابقة للحوادث. وقالوا: "العبد مخير والأمر أنف" أما إثبات علم الله السابق فكانوا بين مثبت ومنكر. وقيل إن مذهب المنكرين لعلم الله السابق قد انقرض نهائياً. وقد كان أول من تكلم بإنكار القدر "معبد الجهني" بالبصرة في أواخر عهد الصحابة رضوان الله ثم انتشر الأمر. وقد بلغ ذلك "ابن عمر" رضي الله عنه فتبرأ منهم كما جاء في الصحيح.

[الثالث] الوعد والوعيد: ومرادهم هو: كما أن وعد الله لا يتخلف فإن وعيده كذلك فلا يغفر لأهل العصيان، فهم يدخلون النار ولا يخرجون منها وأنكروا أحاديث الشفاعة.

[الرابعة] المنزلة بين المنزلتين: ومرادهم عدم اطلاق صاحب الكبيرة بكفر ولا إيمان وأنكروا زيادة الإيمان ونقصانه كالحوارج.

[الخامس] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ومرادهم قتال الأئمة إذا جاروا والخروج عليهم. (٣) {المجبرة-الجبرية} وهي فرقة أفكارها في باب "القدر" مضادة لأفكار المعتزلة، حيث اعتقدوا أن العبد مجبر في كل ما يقع منه من خير و شرّ، وأنه كريشة معلقة في الفضاء أو كاليت بين يدي الغاسل، ليس له حركة اختيارية يتحمل مسئوليتها. وقالوا: "إن الله يدخل الجنة من يشاء لا بسبب طاعتهم إياه، وأنه يدخل النار من يشاء لا بسبب العصيان" وذلك أن الطائع والعاصي عندهم سواء إذ أن كليهما لم يفعل شيئاً بإختياره. ولذلك صاروا منكرين لعدل الله وحكمته.

(٤) {المشبهة}: هي فرقة ضالة أنكرت التعطيل الذي دعت إليه المعتزلة والجهمية فوقعت في التشبيه، وشبهوا الله بخلقه كما فعلت اليهود، وقد كان الصواب إثبات صفات الله مع نفي المشابهة للمخلوقين كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(٥) {الجهمية}: تنسب هذه الفرقة إلى "جهم بن صفوان" الذي اعتقد التعطيل أي نفي

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

صفات الله وأسمائه فراراً من تشبيهه بالمخلوقات المادية. والجهمية من أضلّ الفرق ، وقد قال بكفرهم وإخراجهم من الثنتين والسبعين بعض العلماء. فهم "معطّلة" من حيث الأسماء والصفات و "مجبّرة" من حيث الإيمان بالقدر. و "مرجئة" من حيث تعريف الإيمان، حيث قالوا: إن الإيمان هو العلم الذي بالقلب، فمن كان في قلبه ذلك العلم فهو مؤمن وإن كفر واستكبر وقاتل أنبياء الله. وقالوا: إن الإيمان لا يتفاضل، فجعلوا إيمان الملائكة والأنبياء وإيمان الفساق العصاة سواء.

(٦) {الأشعرية}: تُنسب إلى "أبي الحسن الأشعري" الذي نصر أولاً قول "جهم" في الصفات، ثم تاب ورجع إلى الحقّ وكتب كتابه: "الإبانة في أصول الديانة" الذي نصر فيه مذهب "أحمد بن حنبل" وأئمة السلف. ولكن المذهب الذي تاب منه اعتنقه كثيرون عُرفوا بـ "الأشعرية". ويشمل اسم "المعطّلة" كل الفرق التي أنكرت ونفت صفات الله مثل "الجهمية" و "المعتزلة" و "الأشعرية"، وبين هذه الفرق "المعطّلة" اختلافات. "فالجهمية" ينفون الأسماء والصفات، و "المعتزلة" يثبتون الأسماء وينفون الصفات يقولون: هو "عليم" والعلم ليس صفة له، و "رحيم" والرحمة ليست صفة له ... وهكذا. و "الأشعرية" يثبتون الأسماء وسبع صفات هي: العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

(٧) {المرجئة}: يُطلق هذا الاسم على بعض الفرق التي ضلّت عن التعريف الصحيح للإيمان، وأخرجت الأعمال من مسمّى الإيمان. وقد كان الإرجاء على ثلاث مراتب:

[الأولى] الإرجاء الذي عُرف به بعض فقهاء الكوفة المعروفين بالعلم والصلاح واتباع السنن، إلا إنهم لما عرّفوا "الإيمان" قالوا: إنه معرفة القلب وقول اللسان واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ وقالوا: إن "الإيمان" شئ و "العمل" شئ آخر يلزم منه. ولم يكونوا يخالفون السلف في تفسير مرتكب الكبيرة ودخول بعضهم النار. فكان الخلاف الذي بين أولئك الفقهاء وبين السلف خلافاً قريباً من اللفظي. وكان منهم أئمة يُقتدى بهم مثل: حماد بن أبي سليمان وأبو حنيفة النعمان بن ثابت والطحاوي وغيرهم. وكانوا معدودين من أهل السنة بل من أئمة السنة، ولكن هذا الخطأ اللفظي كانت نتيجته أن يقع الناس في الإرجاء بعدهم وأن يظهر غلاة المرجئة المنابذين للسنة .

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

**[الثانية] الكرامية:** أتباع "محمد بن كرام" وهم الذين قالوا: إن الإيمان هو قول اللسان، والمنافقون مؤمنون ولكنهم يخلدون في النار.

**[الثالثة] مرجئة الجهمية:** قالوا: إن الإيمان ما هو إلا المعرفة القلبية، فمن كان في قلبه العلم بالله فهو مؤمن وإن كفر بقوله وفعله.

(٨) **{الشيعة}** وهي فرقة ضالة تضع علياً في منزلة عالية مع سبهم أو تكفيرهم لأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من المهاجرين والأنصار. والشيعة على ثلاث درجات في الغلو:

**[الأولى] وهي الغالية** كالإسماعيلية والنصيرية والغرابية والكاملية وهم كفار مرتدون، لأنهم اعتقدوا ما ينقض التوحيد أو نبوة محمد ﷺ ، وليسوا من الفرق المعروفة بالفرق المبتدعة.

**[الثانية] الرافضة:** الذين يكفرون أبا بكر وعمر وغيرهم من الصحابة وأمهات المؤمنين، وسمّوا بالرافضة لأنهم رفضوا إمامة "زيد بن علي" لما أبي أن يتبرأ من أبي بكر وعمر. ولهم أسماء أخرى مثل: الإمامية والإثنا عشرية: لاعتقادهم بإمامة اثني عشر من أهل البيت ويقولون أن الإمامة تنعقد بالوحي والنص لا بالشورى. والسبابة: لسبهم صحابة النبي ﷺ . قال الإمام الشيعي: "أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم".

**[الثالثة] الزيدية:** وهي أقرب فرق الشيعة إلى الاعتدال، فهم وإن اعتقدوا أفضلية عليّ على جميع الصحابة إلا أنهم لا يسبّون الصحابة ويترضون عن أبي بكر وعمر ويرون صحة خلافتهم، ويقولون: "إن إمامة الفضول جائزة مع وجود الفاضل". ولأجل هذا الاختلاف الكبير الذي بين فرق الشيعة تجد أن غالب العلماء لا يتكلّمون عن حكم "الشيعة" مجملاً، وإنما يفصلون أحكام الفرق المختلفة المنتسبة إلى الشيعة بحسب مذاهبهم المختلفة. فتراهم يكفّرون "الغالية" كالإسماعيلية ومن شابههم، ويقولون عن الرافضة إنها من أضلّ الفرق المبتدعة وأنها "باب الكفر"، وقد أخرج بعضهم من الثنتين والسبعين وأدخلوهم في الكفار. أما عن الزيدية فلا تجدهم يذكروهم بالسوء إلا أنهم أخطأوا لما قدّموا علياً على أبي بكر وعمر. وهذا هو الإنصاف الذي يليق بالعلماء ورثة الأنبياء.

وبعد معرفة هذه الفرق المعروفة في التاريخ وأسباب ضلال كل منها، ينبغي أن نعرف بعض القضايا العلمية المتعلقة بهذه البدع وأربابها، من ذلك:

### (الأولى) خطورة البدع:

إن خطورة الابتداع في دين الله عظيمة، إذ أنها سببٌ لُنزول غضب الله ودخول جهنم، فهي قول على الله بغير علم، وتشريع مضاد لتشريع، وإن كان المبتدع يأتي بها ظاناً أنه متبع وليس بمبتدع، ومن نتائجها السيئة تغيير شرع الله واستبداله بما ابتدعه المبتدعون من البشر الذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً.

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الوقوع في البدع، ودلّهم على سبيل النجاة منها وهو الاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: {من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار} [أبو داود/النسائي]

وقال: {ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي} [أحمد/أبو دود]

وقال الإمام مالك: "من ابتدع بدعة في الإسلام يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً" [الاعتصام/ للشاطبي]

وهذه البدع تُعتبر فسقاً اعتقادياً أشدّ خطورة من الفسق العملي الذي هو فعل الكبائر كأكل مال اليتيم والزنا والربا وشرب الخمر... إلخ، لأن المبتدع لا يقلع عنها ولا يتوب لظنه أنه على هدى مستقيم، أما صاحب الكبيرة فإنه يعلم أنه قد فسق عن أمر ربه وأنه صار عاصياً لله مستحقاً للعقوبة في الدارين إن لم يتب منها، ولذلك تكثر التوبة من الفسق العملي-فعل الكبائر- دون الفسق الاعتقادي. وكثيراً ما تتول البدعة بأهلها إلى الكفر البواح.

قال أحد السلف: "الرفض باب الكفر" وقال ابن سيرين: "أسرع الناس ردة أهل الأهواء" [الاعتصام]

ولخطورة البدع حذر النبي ﷺ أمته من أصحابها قائلاً: {إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه من القرآن فأولئك الذين سَمَى الله فاحذروهم} [البخاري].

(الثانية) ضرورة هجران أهل البدع :

إن هجران أهل البدع ضروريٌّ لأمرين:

(١) **لصيانة الدين من الإفساد:** ، لأن المبتدع إذا لم يهجر وخالط المسلمين أفسد عقائد الناس. فهم أخطر من قطاع الطرق الذين يفسدون دنيا الناس ولا يفسدون دينهم، واستحقوا العقوبة بالقتل والقطع والصلب والنفي.

(٢) **لاستحقاقه للعقوبة:** فإن السلف كانوا يعاقبون المبتدعة بالقتل أو بالهجر وذلك بحسب جريمتهم والقدرة على معاقبتهم.

قال الإمام ابن تيمية: "وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره: أن من كان داعية إلى بدعة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس، وإن كان في الباطن مجتهداً وأقل عقوبته أن يهجر، فلا يكون له مرتبة في الدين، لا يؤخذ عنه العلم ولا يُستقضى ولا تُقبل شهادته" [الفتاوى: م ٧-ص ٣٨٥].

وقال في تفسير سورة النور (ص: ٣٢): "وذلك أن الله خلق الآدميين محتاجين إلى معاونة بعضهم بعضاً على مصلحة دينهم ودنياهم، فمن كان بمخالطته للناس لا يحصل منه عون على الدين بل يفسدهم ويضرهم في دينهم ودنياهم استحق الإخراج من بينهم، وذلك أنه مضرّة بلا مصلحة، فإن مخالطته لهم فيها فسادهم وفساد أولادهم"

إلى أن قال: "وجماع المهجرة هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع وهجران الفساق وهجران من يخالط هؤلاء كلّهم أو يعاونه، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنه يعاقب بهجرهم له، لما لم يعاونه على البرّ والتقوى. فالزناة واللوطية وتاركي الجهاد وأهل البدع وشربة الخمر، هؤلاء كلّهم ومخالطتهم مضرّة على دين الإسلام وليس فيهم معاونة لا على برّ ولا تقوى، فمن لم يهجرهم كان تاركاً للمأمر فاعلاً للمحذور"

وقال سيد قطب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ "ونحن نقول إن المخالطة بقصد الموعظة والتذكير وتصحيح الفاسد والمنحرف من آراء الفاسقين تبيحها الآية في الحدود التي بيّنتها. أما مخالطة الفاسقين والسكوت عما يدونه من فاسد القول



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

والفعل من باب التقية فهو المحذور لأنه -في ظاهره- إقرارٌ للباطل وشهادة ضدَّ الحقِّ، وفيه تلبيس على الناس ومهانة لدين الله وللقائمين على دين الله، وفي هذه الحالة يكون النهي والمفارقة .

كذلك روى القرطبي في كتابه هذه الأقوال:

"قال ابن خويز منداد: "من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر -مؤمناً كان أو كافراً-". قال: "وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو ودخول كنائسهم والبيع، ومجالسة الكفار وأهل البدع، وأن لا تعتقد مودّتهم ولا يسمع كلامهم ومناظرهم". وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: "اسمع مني كلمة". فأعرض عنه وقال: "ولا نصف كلمة". ومثله عن أيوب السخيتاني.

وقال الفضيل بن عياض: "من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله من رجل أنه مُبغض لصاحب بدعة، رجوت أن يغفر الله له".

وروى أبو عبد الله الحاكم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: {من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام} .

فهذا كله في صاحب البدعة وهو على دين الله، وكلّه لا يبلغ مدى من يدّعي خصائص الألوهية بمزاويلته للحاكمية، ومن يقرّه على هذا الإدعاء .. فليس هذا بدعة مبتدع ولكنه كفر كافر أو شرك مشرك مما لم يتعرّض له السلف، لأنه لم يكن في زمانهم. فمنذ أن قام الإسلام في الأرض لم يبلغ من أحد أن يدّعي هذا الدعوى وهو يزعم الإسلام، ولم يقع شيء من ذلك إلاّ بعد الحملة الفرنسية التي خرج بعدها الناس من إطار الإسلام -إلاّ من عصم الله-، وكذلك لم يعد في قول هؤلاء السلف ما ينطبق على هذا الذي كان !! فقد تجاوز كل ما تحدّثوا عنه بمثل هذه الأحكام. [في ظلال القرآن].

(الثالثة) توبة المبتدع:

البدعة ذنب من الذنوب والله يغفر الذنوب جميعاً، فكلّ ما يصدر من الإنسان من كفر وبدعة وفسق يغفر الله له إذا أتى بتوبة نصوح.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ تَابَ....﴾ [الفرقان]

وقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]

وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَحْدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء]

وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه]

أما الانحلال من البدعة فإنه صعبٌ على نفوس المبتدعة، لأنهم يظنونها ديناً أنزله الله لا يجوز التفريط فيه، ومنهم من يكثر التنقل من بدعة إلى أخرى، كما قال أحد السلف: "من أكثر الجدال أكثر التنقل"، ومنهم من يصبر على البدعة بعد أن يتبين له الحق خوفاً من أن يسقط ذكره بين الناس إذا اعترف ببدعته وضلاله، وقال أحد السلف لما أراد أن يتوب من بدعة فذكر له ما يترتب من ذلك من سقوط الذكر: "والله لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أكون رأساً في الباطل"، ولأجل استحكام البدع في قلوب أهلها كان السلف يتثبتون من أمرهم إذا ادعوا التوبة. وقد قيل لأحدهم "تاب فلان من بدعته" فقال: "أنظروا إلى ما صار إليه". ولم يكونوا يكتفون بقوله: "إني تبت" بل كانوا ينتظرون أن يتحقق صلاحه ويظهر في الواقع، لأن الله يقول: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة] ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء]

﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام]

قال الإمام ابن تيمية: "ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهما في قبول شهادة القاذف أن يُصلح وقدروا ذلك بسنة، كما فعل عمر بصبيغ بن عسل لما أجله سنة. وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي إلى البدعة أنه يؤجل سنة كما أجل عمر صبيغ بن عسل" [الفتاوى: م ٧-ص ٨٦].

(الرابعة) تكفير أهل البدع :

إذا نظرت إلى ما قاله علماء السلف عن حكم أهل البدع الذين كانوا في زمانهم تجد:

(١) من يطلق الكفر على بعض الفرق أو بعض المقالات، ولا يكفر الشخص المعين إلا بعد

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

إقامة الحجة عليه وإصراره على الكفر. أما قبل ذلك فيجعله مخطئاً ضالاً لم يخرج من الملة .

(٢) ومن يكفر بعض الفرق كالجهمية أو القدرية أو الرافضة، ومع ذلك لا يأمر بقتل كل من قيل عنه أنه جهمي أو قدري أو رافضي، بل ينزلهم منزلة المنافقين فيجاهدهم باليد واللسان أو باللسان فقط.

(٣) ومن يسكت عنهم تورعاً ولا يصفهم بكفر ولا إيمان. كما قال أحدهم وقد سئل عن الخوارج ما معناه: "إخراج مسلم عن الملة وإدخال كافر في الملة كلاهما عظيم" .

وتجد كذلك أن علماء السلف لم يكن يبدع بعضهم بعضاً، فالذي يكفر الخوارج مثلاً لم يكن يبدع الذي لا يكفرهم وكذلك العكس. بل كثيراً ما يروى القولان عن إمام واحد، لأن التكفير يتعلق بظهور الحجة وقيامها، ولذلك أمكن أن يوجد جهمي أو خارجي أو رافضي لا يعذر بجهله ويكفر أو يُقتل، وأن يوجد من يكون على مذهب الجهمية أو الرافضة أو الخوارج ويكون مع ذلك معذوراً لا يكفر. فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يمنع الخوارج من دخول المسجد، ولا من حظهم من بيت المال في أول خروجهم. ولكن بعد مناظرة ابن عباس إياهم وإصرارهم على الباطل وسفكهم الدم الحرام عاملهم معاملة الكفار، وأمر بنهب عسكرهم ولم يُصل عليهم كما يروى ذلك عنه .

قال الإمام ابن تيمية: "فإن الأمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين في مذهب مالك وأحمد وفي مذهب الشافعي أيضاً نزاع في كفرهم" [الفتاوى: م ٢٨/٥٠٩]

وهذا النزاع الذي يرويه الإمام في كفر الخوارج موجود كذلك في كفر الجهمية والرافضة وغيرهم. ولم ينتج منه أن يكفر أو يبدع بعض العلماء بعضهم، لأن الجميع متفقون على ذم أهل البدع وتضليلهم وقتالهم إذا تحزبوا ضد المسلمين وامتنعوا من طاعة أمراء المسلمين.

ومما يروى عن السلف في ذم أهل البدع ما يأتي:

قال وكيع بن الجراح: "القدرية يقولون الأمر مستقبل وأن الله لم يقدر الكتابة والأعمال. والمرجئة يقولون: القول يجرى من العمل. والجهمية يقولون: المعرفة تُجرى من القول والعمل، وهو كله كفر" [الفتاوى: م ٧/٣٨٥].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقال سعيد بن جبير: "المرجئة يهود القبلية". وقيل لسفيان الثوري: "أصلي خلف من يقول: الإيمان قول بلا عمل؟ فقال: "لا ولا كرامة".

وقال إبراهيم النخعي عن المرجئة: "لفتنتهم أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة".

وسئل الإمام مالك بن أنس عن تزويج القدري فقال: "ولعبد مؤمن خير من مشرك".

وقال أحمد بن حنبل: "لا أصلي خلف القدرية والمعتزلة".

وقال أبو يوسف القاضي: "لا أصلي خلف جهمي ولا رافضي ولا قدري".

وعن ابن سيرين: "أنه كره ذبائح القدرية".

وعن وائلة بن الأسقع: "أنه أمر بإعادة الصلاة خلف القدرية".

وعن محمد الباقر: "أنه أمر بإعادة الصلاة خلف القدرية".

{هذه الأقوال منقولة من كتاب "المنتقى شرح اعتقاد أهل السنة" للألكائي} .

وقال الإمام ابن تيمية في (الفتاوى: م ٣/ص ٣٥): "وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم "يوسف بن أسباط" ثم "عبد الله بن المبارك" — وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين، قالوا: "أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة" ف قيل لأبن المبارك: والجهمية؟ فأجاب: "بأن أولئك ليسوا من أمة محمد". وكان يقول: "إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية". وهذا الذي قاله أتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا: "إن الجهمية كفار فلا يدخلون في الاثنين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المنافقون الذين يبتغون الكفر ويظهرون الإسلام وهم الزنادقة".

وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم: "بل الجهمية داخلون في الاثنين والسبعين فرقة".

قال: "وهذا بينى على أصل آخر وهو (تكفير أهل البدع) فمن أخرج الجهمية منهم لم يكفرهم، فإنه لا يكفر سائر أهل البدع، بل يجعلهم من أهل الوعيد بمنزلة الفساق والعصاة، ويجعل قوله "هم في النار" مثل ما جاء في سائر الذنوب مثل أكل مال اليتيم وغيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء].

ومن أدخلهم فيهم فهم على قولين:

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

(١) منهم من يكفرهم كلهم، وهذا إنما قاله بعض المستأخرين المنتسبين إلى الأئمة أو المتكلمين. وأما السلف والأئمة فلم يتنازعوا في عدم تكفير "المرجئة" و "الشيعية المفضلة" ونحو ذلك. ولم تختلف نصوص أحمد بن حنبل في أنه لا يكفر هؤلاء.

(٢) ومنهم من لم يكفر أحداً من هؤلاء إلحاقاً لأهل البدع بأهل المعاصي قالوا: فكما أن من أصول أهل السنة والجماعة: "أنهم لا يكفرون أحداً بذنب". فكذا لا يكفرون أحداً ببدعة. والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير "الجهمية المحضة" الذين ينكرون الصفات، وحقيقة قولهم أن الله لا يتكلم ولا يرى ولا يباين الخلق ولا له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا حياة، بل القرآن مخلوق وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار، وأمثال هذه المقالات.

وأما "الخوارج" و "الرافضة" ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره، وأما "القدرية" الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال. إلى أن قال ذاكر أصليين هاميين:

"وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافراً، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية، فإن رؤسائهم كانوا منافقين زنادقة، وأول من ابتدع الرفض كان منافقاً. وكذلك التحمُّ فإن أصله زندقة ونفاق. ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقرهم منهم.

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطناً وظاهراً، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً، وقد يكون مخطئاً متأولاً مغفوراً له خطأه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصليين.

**والأصل الثاني:** أن المقالة تكون كفراً كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم، ثم القائل بما قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب، وكذا لا يكفر به جاحده كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

الرسول، ومقالات الجهمية هي من هذا النوع، فإنها جحد لما هو الربّ تعالى عليه ولما أنزل الله على رسوله " اهـ .

### (الخامسة): تعظيم السنة

إنّ سنة النبي ﷺ ليست تشريعاً مستقلاً منفصلاً عن القرآن ، وإنّما هي تفسير للقرآن وتطبيق عمليّ له ، لأنّ الله تعالى أوجب في القرآن طاعة رسوله ﷺ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال] ..

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران]

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور].

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور].

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر].

وأخبر تعالى أنّ الفوز بالجنة والنجاة من النار غاية لا تدرك إلاّ بطاعة الله وطاعة رسوله كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح].

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء].

وهكذا تتضافر الأدلة القرآنية على أنّ نيل رضوان الله والجنة لا يتحقق إلاّ بطاعة الله ورسوله، وأنّ العذاب المهين ملحق بمن تولّى عن طاعة الله ورسوله..

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

والرسول ﷺ مبلّغ عن الله، وهو أمين الله ولا يقول إلا الحق ولا ينطق إلا بالحكمة، وهو معصوم من الكذب وسائر المعاصي.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم].

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل].

فدل ذلك على أن أحاديثه ﷺ مفسّرة للقرآن ومبينة لمراد الله، وهي الحكمة التي آتاها الله نبيه ﷺ وذكرها في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء].

وقال ابن كثير في هذه الآية: "وما أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي السنّة". ولذلك صارت طاعته ﷺ والعمل بأحاديثه طاعة لله كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء].

وقال ﷺ: {من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله} [متفق عليه]  
{كلكم يدخل الجنة إلا من أبي. قالوا ومن يأبى يا رسول الله. قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي} [رواه البخاري]

{ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء} [متفق عليه].

{ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه} [أبو داود/الترمذي]

وكان النبي ﷺ يأمر الصحابة بتبليغ أحاديثه للناس الذين لم يحضروا عنده وقت بيانه للعلم، ويقول: {ألا فليبلغ الشاهد الغائب. فربّ مبلغ أوعى من سامع} [متفق عليه]

وكان من القواعد التي تقرّرت عندهم وجوب العمل بالحديث الذي يرويه الثقة عن رسول الله ﷺ. أو يرويه الثقة عن مثله عن مثله عن الصحابي عن رسول الله ﷺ والصحابة كلّهم عدول في تبليغ الشرع

والحديث الصحيح هو الذي يرويه ثقة عدل تام الضبط عن مثله عن مثله .. سواء علا السند أو نزل.

والمراد بأهل السنّة هو أهل الحديث الذين يتبعون المحفوظ من سنّة النبي ﷺ الموافقة للقرآن .. وليس المراد أنّهم الذين يتبعون الحديث ويتركون القرآن . فهم المسلمون الذين هم على

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

الصراط المستقيم لعملهم بالقرآن والحديث .. وإنما سَمُوا بأهل السنّة لتفريقهم عن أهل البدع الذين أحدثوا آراء في الدين مخالفة للمحفوظ عن النبي ﷺ ، وردّوا سنّته إذا خالفت رأيهم المبتدع .. والعلة هي سوء فهمهم للقرآن، فإذا فهموا من القرآن فهماً أخطئوا فيه ردّوا النصوص الصحيحة التي تخالف رأيهم وفهمهم السقيم، فجعلوا عقولهم القاصرة حكماً على الأدلة الصحيحة يأخذون ويرفضون ما شاءوا ..

وكلّ من ضلّ عن سبيل الله من أهل البدع إنّما كانوا يتمسّكون بنصوص متشابهة، ويؤوّلون الآيات المحكمات أو يعرضون عنها. وكذلك يفعلون بالأحاديث الصحيحة ..

قال الإمام ابن القيم وهو يقارن بين طريقة أهل السنّة وطريقة أهل البدع في الاستدلال: "وهذا فعل الذين يستمسكون بالمتشابه في ردّ المحكم، فإن لم يجدوا لفظاً متشابهاً غير المحكم يردونه به استخرجوا من المحكم وصفاً متشابهاً وردوه به، فلهم طريقان في ردّ السنن :

(أحدهما) ردّها بالمتشابه من القرآن أو من السنن

(الثاني) جعلهم المحكم متشابهاً ليعطلوا دلالته .

وأما طريقة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كالشافعي والإمام أحمد ومالك وأبي حنيفة وأبي يوسف والبخاري وإسحاق فعكس هذه الطريقة، وهي أنّهم يردّون المتشابه إلى المحكم ويأخذون من المحكم ما يفسّر لهم المتشابه ويبينه لهم، فتتفق دلالاته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضاً فإنّها كلّها من عند الله ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض وإنّما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره .

ولنذكر لهذا الأصل أمثلة لشدة حاجة كلّ مسلم إليه أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب :

(المثال الأول) ردّ الجهمية النصوص المحكمة غاية الإحكام المبينة بأقصى غاية البيان إنّ الله موصوف بصفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة وبالأفعال كالحيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا .. ونحو ذلك .

قال: فالعلم الضروري حاصل بأنّ الرسول أخبر عن الله بذلك وفرض على الأمة تصديقه فيه فرضاً لا يتمّ الإيمان إلّا به.. فردّ الجهمية ذلك بالمتشابه من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ومن



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ومن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم استخرجوا من هذه النصوص المحكمة المبينة احتمالات وتحريفات جعلوها به من قسم المتشابه .

(المثال الثاني) ردّهم المحكم المعلوم بالضرورة أنّ الرسل جاءوا به من إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه بمتشابه قول الله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

(المثال الثالث) ردّ القدريّة النصوص الصريحة المحكمة في قدرة الله على خلقه وأنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بالمتشابه من قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثمّ استخرجوا لتلك النصوص المحكمة وجوهاً أخر أخرجوها به من قسم المحكم وأدخلوها في المتشابه .

(المثال الرابع) ردّ الجبرية النصوص المحكمة في إثبات كون العبد قادراً مختاراً فاعلاً بمشيئته بمتشابه قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وأمثال ذلك ثمّ استخرجوا لتلك النصوص من الاحتمالات التي يقطع السامع أنّ المتكلم لم يردّها ما صيروها به متشابهة .

(المثال الخامس) ردّ الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة غاية الإحكام في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار بالمتشابه من قوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾. ونحو ذلك، وفعلوا فيها فعل من ذكرناه سواء. [أعلام الموقعين: ١٩٤-١٩٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ الآية. قال: {إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم} [متفق عليه] .

قال الإمام الشاطبي: "وهذا أبين لأنّه جعل علامة الزيغ الجدل في القرآن. وهذا الجدل مقيد باتباع المتشابه. فإذا الذمّ إنّما لحق بمن جادل فيه بترك المحكم — هو أم الكتاب ومعظمه — والتمسك بمتشابهه" [الاعتصام . ص : ٣٩] .

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: {أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة} ..

وفي رواية للنسائي: {وكل محدثة بدعة وكل بدعة في النار}.

قال عبد الله بن مسعود: "اتَّبِعُوا آثَارَنَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ".

وعن الحسن: "لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك".

وعن أبي قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنّي لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون".

قال أيوب: "وكان -والله- من الفقهاء ذوي الألباب".

وعن أبي قلابة: "ما ابتدع رجل بدعة إلاّ استحلّ السيف".

وقال إبراهيم: "ولا تكلّموهم إنّي أخاف أن ترتدّ قلوبكم".

وقال يحيى بن أبي كثير: "إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر".

وقال الفضيل بن عياض: "من جلس مع صاحب بدعة لم يُعط الحكمة".

والدرجة الأخيرة من درجات البدع هي: البدع التي تُفسد صاحبها مثل ما يأتي به بعض الناس ممن قصده العمل لله وبلوغ رضاه، من أعمال يتقرّبون بها إلى الله مع كونها بدعاً محدثة غير مقبولة عنده. فإنه تعالى لا يقبل من العبد عملاً إلاّ ما كان خالصاً أي ابتغى به وجهه وكان صواباً أي موافقاً للسنة.

وقد عاب الله النصارى بالابتداع في دينه، وذلك لما أتوا برهبانيتهم التي كانت انقطاعاً سلبياً عن واقع الحياة ومقتضياتها، حيث امتنعوا من الزواج وما يقتضيه من السعي والكسب، وانعزلوا في صوامعهم عن الناس وانقطعوا للصلاة والصيام والذكر بدون دعوة ولا جهاد ولا إقامة للقسط بين الناس.

قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا...﴾ [الحديد].

قال الإمام ابن كثير: "وهذا ذمّ لهم من وجهين :

(الأول) الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

(الثاني) في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ وفي الحديث: {لكلّ أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله} [أحمد/والحافظ أبو يعلى]. ودين الله دينٌ يسرّ موافق للفطرة السليمة ولا يشقى به الإنسان المؤمن به ولكن العسر والشقاء ينتج من البدع التي يتدعها بعض الناس الجهال الذين لهم نشاط وشراسة إلى العبادة ثم يضعفون بعد مدّة عن المداومة، فيلحقهم الذمّ من الوجهين اللذين ذكرهما الإمام في تفسير الآية .

قال الله تعالى في صفة دينه القويم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحجّ].  
﴿طه . مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه] .  
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة] .

وقد كان النبي ﷺ ينهى الصحابة -الذين تحدّثهم أنفسهم الحريصة على الخير بالبدع- عما يريدون ويأمر بالعودة إلى سنته التي هي معنيّة عن البدع وموصلة إلى الغاية .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ . فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: " {أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي} " [البخاري] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظلّ ولا يتكلّم ويصوم. فقال النبي ﷺ: " {مروه فليتكلم وليقعد وليتم صومه} " [البخاري] .

وقد صحّ عنه ﷺ أنه كان يقول: "فإن كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"

"من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ"، "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ".

وروى عنه كذلك أنه قال: "ما ابتدع قومٌ بدعة إلاّ نزع الله عنهم من السنة مثلها".

وعموم قوله ﷺ: "كلّ بدعة ضلالة" يدلّ على خطأ من قسم البدع إلى "بدعة حسنة" و "بدعة سيئة"، وأن كل عمل يُعمل ابتغاء رضوان الله إذا خالف شريعة النبي ﷺ يُسمّى بدعة،

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وكذلك فهم الصحابة والتابعون، ولذلك جاءت أخبار كثيرة فيها إنكارهم للمحدثات من البدع وحضهم على اتباع السنن. من ذلك :

**قال مجاهد:** "دخلتُ أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى جنب حجرة عائشة وإذا ناس يصلُّون في المسجد صلاة الضحى. قال: فسألناه عن صلاحهم، فقال: بدعة" [متفق عليه].

**وقال الحافظ في الفتح:** "قال عياض وغيره إنما أنكر ابن عمر ملازمتها وإظهارها في المساجد وصلاحها جماعة، لا أنَّها مخالفة للسنَّة". ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه رأى قومًا يصلُّونها فأنكر عليهم، وقال: "إن كان ولا بدّ ففني بيوتكم"

وأنكر أبو سعيد وغيره على مروان بن الحكم، وكان أميراً على المدينة لما بدأ بخطبة العيد قبل الصلاة. جاء في صحيح البخاري: "فإذا مروان يريد أن يرتقيه -يعني المنبر- قبل أن يصلِّي، فجذبتُ بثوبه فجذبني فارتفع فخطب. فقلتُ له: غيّرتم والله. فقال: يا أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلتُ: ما أعلم والله خيرٌ مما لا أعلم".

وروى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم عن طارق بن شهاب قال: "أخرج مروان المنبر في يوم عيد فبدأ الخطبة قبل الصلاة، فقام رجلٌ فقال: يا مروان خالفت السنَّة، أخرجت المنبر في يوم عيد ولم يكن يخرج فيه، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة.

فقال أبو سعيد: أما هذا فقد أدّى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان} .

أما قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن صلاة التراويح "نعمت البدعة" فلم يكن مراده البدعة الشرعية، كما بيّن ذلك الإمام ابن تيمية وقال: "أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية، لا تسمية شرعية. وذلك أن البدعة في اللغة تعمُّ كلَّ ما فعل ابتداء من غير مثال سابق. وأما البدعة الشرعية: فكلَّ ما لم يدل عليه دليل شرعي. فإذا كان نصّ رسول الله ﷺ قد دلّ على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دلّ عليه مطلقاً ولم يُعمل به إلا بعد موته: ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه . فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صحَّ أن يسمي بدعة في اللغة. لأنه عمل مبتدأ. كما أن نفس الدين الذي جاء

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

به النبي ﷺ يسمّى "بدعة" ويسمّى "محدثاً" في اللغة. كما قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب النبي ﷺ المهاجرين إلى الحبشة: "إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين محدث لا يُعرف".

ثم ذلك العمل الذي يدلّ عليه الكتاب والسنة: ليس بدعة في الشريعة وإن سُمّي بدعة في اللغة. فلفظ "البدعة" في اللغة أعمُّ من لفظ البدعة في الشريعة. وقد علّم أن قول النبي ﷺ: {كل بدعة ضلالة} لم يرد به كل عمل مبتدأ. فإن دين الإسلام، بل كلّ دين جاءت به الرسل: فهو عمل مبتدأ وإنما أراد ما أبتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ. وإذا كان كذلك. فالنبي ﷺ قد كانوا يصلّون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى. وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة، لما اجتمعوا "إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلّا كراهة أن يُفرض عليكم فصلوا في بيوتكم. فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلّا المكتوبة" فعّل ﷺ عدم الخروج خشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضى للخروج قائم، وأنه لو لا خوف الافتراض لخرج إليهم. فلما كان في عهد عمر جمعهم على قارئ واحد وأسرج المسجد. فصارت هذه الهيئة -وهي اجتماعهم في المسجد على إمام واحد مع الإسراج- عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل. فسُمّي بدعة. لأنه في اللغة يُسمّى بذلك، وإن لم يكن بدعة شرعية. لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لو لا خوف الافتراض. وخوف الافتراض قد زال بموته ﷺ فانتفى المعارض.

وهكذا جمع القرآن، فإن المانع من جمعه على عهد رسول ﷺ كان أن الوحي كان لا يزال ينزل، فيغيّر الله ما شاء ويحكم ما يريد، فلو جُمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقرّ القرآن بموته ﷺ واستقرّت الشريعة بموته ﷺ أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه، وأمنوا من زيادة الإيجاب والتحريم، والمقتضى للعمل قائم بسنّته ﷺ، فعمل المسلمون بمقتضى سنّته وذلك العمل من سنّته وإن كان يُسمّى في اللغة بدعة. وصار هذا كنفى عمر رضي الله عنه ليهود خيبر، ونصارى نجران، ونحوهم من أرض العرب. فإن النبي ﷺ عهد بذلك في مرضه. فقال: "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب" وإنما لم ينفذه أبو بكر لا اشتغاله عنه بقتال أهل الردّة، وبشروعه في قتال فارس والروم، وكذلك عمر لم يمكنه فعله في أول الأمر لا اشتغاله بقتال فارس والروم. فلما تمكّن من ذلك فعل ما أمر به ﷺ. وإن كان هذا

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

الفعل قد يُسمَّى بدعة في اللغة كما قال له اليهود: "كيف تخرجنا وقد أقرنا أبو القاسم؟" وكما جاءوا إلى عليّ رضي الله عنه في خلافته، فأرادوا منه إعادتهم، وقالوا: "كتابك بخطك" فامتنع من ذلك. لأن ذلك الفعل من عمر كان بعهد رسول الله ﷺ، وإن كان محدثاً بعده، ومغيّراً لما فعله هو ﷺ.

وكذلك قوله ﷺ: "خذوا العطاء ما كان عطاء، فإذا كان عوضاً عن دين أحدكم فلا تأخذوه". فلما صار الأمراء يعطون مال الله لمن يعينهم على أهوائهم، وإن كانت معصية، كان من امتنع من أخذه متبّعاً لسنة رسول الله ﷺ. وإن كان ترك قبول العطاء من أولي الأمر محدثاً. لكن لما أحدثوا ما أحدثوه أحدث لهم حكم آخر بسنة رسول الله ﷺ ..

وكذلك دفعه إلى إهبان بن صيفي سيفاً وقوله "قاتل به المشركين فإذا رأيت المسلمين قد اقتتلوا فأكسره" فإن كسره لسيفه وإن كان محدثاً حيث لم يكن المسلمون يكسرون سيوفهم على عهد رسول الله ﷺ لكن هو بأمره ﷺ.

ومن هذا الباب: قتال أبي بكر لمانعي الزكاة، فإنه وإن كان بدعة لغوية من حيث أن النبي ﷺ لم يقاتل أحداً على إيتاء الزكاة فقط، لكن لما قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" وقد علم أن الزكاة من حق "لا إله إلا الله" فلم يعصم مجرد قولها من منع الزكاة كما بينه في الحديث الآخر الصحيح "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة" وهذا باب واسع. [اقتضاء الصراط المستقيم/ص: ٢٧٦-٢٧٨]



## {المرتبة الخامسة} أهل الكبائر

وهم الذين وقعوا في الذنوب التي بيّنت النصوص أنّ من فعلها يدخل النار أو لا يجد ريح الجنة أو يُلعن من رحمة الله أو ليس من المؤمنين وما إلى ذلك، وكذلك التي على فاعلها حدّ في الدنيا. وأصحاب الكبائر في اصطلاح العلماء ليسوا كلّ الفاعلين للكبائر من جميع أهل الملل، وإنما هم الذين صحّ إيمانهم بالله ورسوله ثم ضعفوا فوقعوا في الحرام، وهم مع عصيائهم ذلك لم يزل من قلوبهم أمران :

(الأول) محبة الإيمان والاستقامة ومولاة أهل الإيمان وكرهية الكفر والفسوق والعصيان والبراءة من أهل الكفر. وهذا هو الدافع الذي يدفعهم إلى الإنابة والإسراع إلى التطهّر .

(الثاني) الاعتقاد بأنه مستحقّ لعقاب الله لما تعدّى حدوده وارتكب المحذور، وهذا كذلك هو الدافع إلى الإنابة والإسراع إلى التطهّر .

فالمذنب إذا كان حاله كذلك ولم يزل من قلبه هذان الأمران لا يكفر ولا يجوز تكفيره بذنبه. والأدلة الدالة على ذلك كثيرة نختار منها ما يأتي:

[أ] خطيئة نبي الله آدم عليه السلام التي كانت أكله من الشجرة المحرّمة، واتّفاق علماء الأمة على أنّها كانت "معصية" ولم تكن "كفرًا" ناقضاً لإيمانه بالله. قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه] .

[ب] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء] . واتّفاق علماء الأمة على أن المراد هو: "أن الله يغفر ما دون الشرك الأكبر من كبائر الذنوب لمن يشاء".

كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كنا معشر أصحاب النبي ﷺ لا نشكّ في قاتل النفس، وأكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأمسكنا عن الشهادة" [الطبري].

وقال الإمام الطبري: "وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركاً بالله"

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

[جـ] إن أعظم الكبائر بعد الشرك بالله قتل النفس بغير حق، والقرآن لم ينف الإيمان عن القاتل مع حريمته العظيمة، وأبقى له الأخوة الإيمانية.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة].  
قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات]

[د] إن الله تعالى أمر بقطع يد السارق والسارقة.  
وقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ..﴾ [المائدة].  
فلو كانت السرقة وحدها ردّة عن الإسلام ما جعل الله عقوبتها القطع. ومثل السرقة الزنا والقذف والخمر، فمن وقع في شيء من ذلك يُقام عليه الحدّ إذا اعترف أو قامت عليه البيّنة.  
[هـ] إن الله تعالى بيّن أن المؤمنين على مراتب ثلاثة.

فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر].  
فالظالم لنفسه في هذه الآية هو المسلم المذنب عند جميع المفسّرين .

[و] بيّن القرآن أنه عند دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يكون أقوامٌ على الأعراف، وهم الذين لهم حسنات وسيئات، فجاوزت بهم حسناتهم النار ولم تبلغهم الجنة.  
قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ..﴾ [الأعراف].  
[ز] ثبت بالسنة الصحيحة دخول بعض عصاة المسلمين النار، وأن الله يأمر الملائكة بإخراجهم من النار فيعرفونهم في النار بأثر السجود.

هذه الأدلّة وغيرها تبيّن أن الكبائر لا تخرج المؤمن من الإيمان بمجرد فعلها إذا كان معه أصل الإيمان الذي يفرّقه عن الكفار. وتبيّن بطلان مذهب الخوارج ومن وافقهم في هذه المسألة. غير أنه ينبغي أن تعرف وجود حالات يصير فيها المذنب العاصي كافراً مرتداً بذنبه وهي :

(الأولى) إذا جحد حكم الله. كمن أنكر وجوب الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحجّ أو الجهاد أو تحريم دماء المسلمين وأموالهم أو الخمر والزنا والربا وغير ذلك من الواجبات والمحرمات



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا يُعذر أحدٌ بيجودها، فمن جحدّها صار كافراً مرتداً .  
ودليل ذلك هو :

(أ) ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال].

(ب) قتال أبي بكر رضي الله عنه والصحابة مانعي الزكاة، واتّفاق الفقهاء بعدهم على تصويبهم في قتال المرتدين وتكفيرهم لهم والشهادة على قتلاهم بالنار .

(جـ) قوله تعالى لما لم يتوقّف بعض أهل الطائف من التعامل بالربا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [البقرة].

(الثانية) إذا أقرّ بالوجوب أو التحريم ولكنه امتنع عن الانقياد واستكبر، فإنه يصير بذلك كافراً بلا خلاف، وهو ككفر إبليس.

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة].

قال الإمام ابن تيمية (رحمه الله): "إن لم يعتقد وجوب الصلوات الخمس والزكاة المفروضة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق، ولا يحرم ما حرم الله ورسوله من الفواحش والظلم والشرك والإفك، فهو كافر مرتدٌ يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل باتّفاق أئمة المسلمين، ولا يغني عنه التكلم بالشهادتين"

"وإن قال: أنا أقرّ بوجوب ذلك عليّ، واعلم أنه فرضٌ وأن من تركه كان مستحقاً لدم الله وعقابه لكنّي لا أفعل ذلك، فهذا أيضاً مستحقٌ للعقوبة في الدنيا والآخرة باتّفاق المسلمين"  
[مجموع الفتاوى: م ٣٥-ص ١٠٥-١٠٦].

وقال أيضاً عمن امتنع عن فعل الواجبات أو ترك المحرمات:  
"فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرّة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء"،.

قال: "وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام"

قال: والصحابة لم يكونوا يقولون هل أنت مقرّ بوجوبها أو جاحد لها، هذا لم يعهد عن الصحابة بحال. بل قال الصديق لعمر: "والله لو منعوني عنّا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه"، فجعل المبيح للقتال مجرّد المنع لا جحد الوجوب [الفتاوى: ٢٨/٥٠١ وما بعدها].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

(الثالثة) إذا أقرّ بالوجوب أو التحريم، ولكنه يطيع ما خالفه من شرائع البشر، ويقدمها في العمل على شريعة الله لشدة محبته وتعظيمه للكبراء والسادة المشرّعين، فإن من فعل ذلك يصير مشركاً بالله متخذاً غيره أرباباً تُعبد من دونه. وهذا هو الضلال الذي صار به أهل الكتاب مشركين، وقال الله عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة].

قال سيد قطب في (ظلال القرآن) في هذه الآية: "وقبل أن نقول: كيف اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً نَحْبُ أن نعرض الروايات الصحيحة التي تَضَمَّنَتْ تفسير رسول الله ﷺ للآية وهو فصل الخطاب.

الأحبار: جمع حَبْر أو حَبْر بفتح الحاء أو بكسرهما، وهو العالم من أهل الكتاب وكثر على إطلاقه على علماء اليهود.

والرهبان: جمع راهب، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة، وهو عادة لا يتزوج ولا يزاول الكسب ولا يتكلّف للمعاش.

وفي "الدرّ المنثور" ... روى الترمذي -وحسنه- وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه وغيرهم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: "أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ في سورة "براءة" ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ فقال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه. وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه".

وفي تفسير ابن كثير: "وروى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير -من طرق- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام، وكان قد تنصّر في الجاهلية، فأُسرَت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله ﷺ على أخته وأعطاهما، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي المدينة -وكان رئيساً في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم- فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ قال: فقلت: "إنهم لم يعبدوهم"، فقال: {بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إياهم}.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقال السدي: "استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلّله فهو الحلال وما شرعه أتبع وما حكم به نُفذ".

وقال الألوسي في التفسير: "الأكثر من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم".

ومن النص القرآني الواضح الدلالة، ومن تفسير رسول الله ﷺ وهو فصل الخطاب، ثم من مفهومات المفسرين الأوائل والمتأخرين، تخلص لنا حقائق في العقيدة والدين ذات أهمية بالغة نشير إليها هنا بغاية الاختصار.

﴿إن العبادة هي الاتباع في التشريع بنص القرآن وتفسير رسول الله ﷺ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم وتقديم الشعائر التعبدية إليهم. ومع هذا فقد حكم الله -- سبحانه -- عليهم بالشرك في هذه الآية، وبالكفر في آية تالية في السياق لمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فأطاعوها وأتبعوها. فهذا وحده - دون الاعتقاد والشعائر - يكفي لاعتبار من يفعله مشركاً بالله، الشرك الذي يخرج من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين.

﴿إن النص القرآني يسوّي في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحبارهم وأطاعوه وأتبعوه وبين النصارى الذين قالوا بألوهية المسيح اعتقاداً وقدموا إليه الشعائر في العبادة. فهذه كتلك سواء في اعتبار فاعلها مشركاً بالله، الشرك الذي يخرج من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين.

﴿إن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده، ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته ولا تقديم الشعائر التعبدية له.

قال: إن دين الحق الذي لا يقبل الله من الناس كلهم ديناً غيره هو "الإسلام"، والإسلام لا يقوم إلا باتباع الله وحده في الشريعة - بعد الاعتقاد بألوهيته وحده وتقديم الشعائر التعبدية له وحده - فإذا أتبع الناس شريعة غير شريعة الله صحّ فيهم ما صحّ في اليهود والنصارى من أنهم مشركون لا يؤمنون بالله. - مهما كانت دعواهم في الإيمان - لأن هذا الوصف يلحقهم بمجرد

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

اتَّباعهم لتشريع العباد لهم من دون الله. بغير إنكار منهم يثبت منه أنهم لا يتَّبعون إلا عن إكراه واقع بهم، لا طاقة لهم بدفعه وأنهم لا يقرّون هذا الافتئات على الله.

إن مصطلح الدِّين قد انحسر في نفوس الناس اليوم، حتى باتوا يحسبونه عقيدة في الضمير وشعائر تعبديّة تُقام، وهذا ما كان عليه اليهود الذين يُقرّر هذا النصّ المحكم -ويقرّر تفسير رسول الله ﷺ- أنهم لم يكونوا يؤمنون بالله وأنهم أشركوا به وأنهم خالفوا عن أمره بالألّا يعبدوا إلاّ إلهاً واحداً وأنهم اتَّخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله. إن المعنى الأول للدِّين هو الدينونة -أي الخضوع والاستسلام والاتباع- وهذا يتجلّى في اتِّباع الشرائع كما يتجلّى في تقديم الشعائر، والأمر جدّ لا يقبل هذا التَّمييع في اعتبار من يتَّبعون شرائع غير الله -دون إنكار منهم يثبتون به عدم الرضى عن الافتئات على سلطان الله- مؤمنين بالله مسلمين لمجرّد أنهم يعتقدون بألوهية الله -سبحانه- ويقدمون له وحده الشعائر، وهذا التَّمييع هو أخطر ما يعانیه هذا الدِّين في هذه الحقبة من التاريخ، وهو أفكك الأسلحة التي يحاربه بها أعداؤه الذين يحرصون على تثبيت لافتة "الإسلام" على أوضاع وعلى أشخاص يقرّر الله -سبحانه- في أمثالهم أنهم مشركون لا يدينون دين الحقّ، وأنهم يتَّخذون أرباباً من دون الله، وإذا كان أعداء هذا الدِّين يحرصون على تثبيت لافتة "الإسلام" على تلك الأوضاع وهؤلاء الأشخاص فواجب حماة هذا الدِّين أن ينزعوا هذه اللافتات الخادعة، وأن يكشفوا ما تحتها من شركٍ وكفرٍ واتَّخاذ أرباب من دون الله. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [في ظلال القرآن: ٣م-٣ص ١٦٤٣].

### ضرر الذنوب على الفرد والجماعة

إن للذنوب أضراراً جسيمة تعود بالهلاك والخسران على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، ولأجل ذلك كثرت التوجيهات والدعوة إلى التطهّر والتوبة في الكتاب والسنة، لأن الله عزّ وجلّ رحيم يريد الخير واليسر بعباده .

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى].

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس].

وقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا. وَإِذَا لَا تَأْنِيَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة] .

ويجب على المسلم أن يتبته على ما ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه وذكره رسوله ﷺ في أحاديثه من نتائج ضارّة وخيمة لفعل الذنوب كي ينجوا من الشرّ بإذن الله، ويسعى كذلك لأن يكون عنصراً إيجابياً يوصي غيره بالاستقامة والتطهّر لنيل النجاة في الدنيا والآخرة. ومن تلك النتائج الضارّة والوخيمة:

### ★ الردة عن الإسلام :

لأن القلب يموت إذا تراكمت عليه الذنوب، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فيستهين بأوامر الله ونواهيه حتى يصير منافقاً خالصاً أو مرتدّاً كافراً.  
قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور].

قال الإمام الطبري: "الفتنة ها هنا الكفر".

وقال الإمام ابن كثير: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة .  
وقال تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين] .  
وفي الحديث: {إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت} [الترمذي/والنسائي/وابن ماجه] .

وقال الحسن البصري: "هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت".

### ★ ومنها: نزول عذاب الدنيا:

كما نزل على الذين اعتدوا في السبت.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف] . ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة] .  
وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] .

فقد توعد الله المتولّين عن حكمه بالعقوبة العاجلة في الدنيا في هذه الآية . وفي الحديث: {إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عزّ وجلّ أن يعمّمهم بعقابه} [أحمد/وأهل السنن].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

☆ ومنها: الجذب والقحط ورفع البركة عن الأرض :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف] .

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود] .

وقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح]

فيتبين من الآيات أن من سنة الله الجارية في عباده نزول البركات من الرزق والأمطار نتيجة العمل بطاعة الله، ونزول الجذب والقحط والبؤس نتيجة العمل بالمعاصي والذنوب، ولأجل ذلك يعبر القرآن في مواضع العمل بالمعاصي بأنه إفساد في الأرض. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ .

قال الإمام الطبري في تفسيرها: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: "ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه من عبادة غير الله والإشراك به وبخس الناس في الكيل والوزن". ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يقول: "بعد أن قد أصلح الله الأرض بانبعث النبي ﷺ فيكم ينهاكم عما لا يحل لكم وما يكرهه الله لكم".

☆ ومنها: وقوع الاختلاف والعداوة والبغضاء وضرب القلوب بعضها ببعض .

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة] .

وقال ﷺ : { عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم } [متفق عليه] .

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: { لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسهم وواكلوهم وشاربوهم مع أنهم لم يرجعوا عن ضلالهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم } ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

يَعْتَدُونَ ﴿فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَتَكِّئًا فَقَالَ: " { لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً" } .

★ ومنها: الهزيمة أمام أعداء الإسلام وفقدان الثبات في الجهاد.

لأن الله تعالى إنما يؤيد أوليائه المتقين بالنصر، فمن خرج عن التقوى لم يستحق ذلك التأييد.  
قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾  
وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران] .

ولما عصى المسلمون أمر النبي ﷺ يوم "أحد" واشتغلوا بجمع الغنائم انتصر عليهم المشركون، وتحول النصر الذي أحرزوه في الجولة الأولى إلى هزيمة، وقتل منهم بعض الأجلاء من الصحابة.

★ ومنها: قسوة القلب وفقدان القوة العلمية والعملية : .

لأن الله تعالى إنما يعلم الحكمة عباده المتقين ويصلح أعمالهم.  
قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد] .  
وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة] .

وقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة] .  
وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب] .

★ ومنها: أنه سبب لدخول النار .

كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء] .  
وأضرار الذنوب لا تنحصر على ذلك القدر المذكور، ولكن يكفي ذلك زاجراً عنها لمن عقل عن الله ونصح لنفسه. ولأجل ما يترتب من فعل المعاصي من خسائر في الدنيا والآخرة فإن النبي ﷺ مثل المجاهر بالمعاصي في المجتمع المسلم بالذي يحاول أن يخرق السفينة التي تجري في

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

البحر، ويعرّض المسافرين لخطر محقق. فقال ﷺ : {مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم. فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً} [البخاري].

### مشروعية العقوبات

ولأجل الأضرار الكثيرة والخسائر الجسيمة التي تلحق الأفراد والأمم نتيجة الذنوب فإن الإسلام يُشدّد في محاربة الفواحش والمنكرات الظاهرة، ويُعاقب أهلها بحسب جرائمهم، ولا يبيح للمسلمين أن يقرّوا فيهم تلك الفواحش والمنكرات. فإن هم عصوا وأقرّوا فيهم الفواحش والمنكرات وتركوا معاقبة المجاهرين بها، فإن عقاب الله سيعمّ الأمة كلّها، كما دلّ على ذلك الأدلة الصحيحة.

إن الإنسان إذا أعلن الردّة في المجتمع المسلم يكون قد فتح باباً إلى الضلال والعذاب لا بدّ من سدّه حتى لا يدخله غيره، ويقتدي به ويهلك معه، وأول ما يتّخذ الإسلام من الإجراءات لذلك الغرض هو دعوة المرتد إلى التوبة والرجوع إلى الإسلام .. فإن أبى وأصرّ على الكفر يُقتل وهذا القتل ليس حداً يُطهّره كما هو الشأن في الجرائم التي هي دون الكفر الأكبر كالزنا والسرقه والقذف وشرب الخمر، وإنما هو عذاب عاجل من الله لكفره مع ما أعدّ له من أليم العذاب في الآخرة. وهو كذلك عقوبة رادعة تزجر غيره عن ذلك المسلك الخطير، وتسدّ باب الفتنة التي فتحها المرتدّ. فتنفيذ قول رسول الله ﷺ: "{من بدّل دينه فاقتلوه}" على المرتدين فيه نجاة المجتمع وسلامته من عقاب الله.

وكذلك إذا عمل الإنسان بالكبائر من الذنوب فإن الإسلام لا يقرّه عليها، لأن ضررها يتعدّى لغيره ولا ينحصر فيه. فأنزل الله لمن أتى شيئاً من تلك الكبائر كالقتل والزنا والسرقه والقذف وشرب الخمر عقوبات رادعة زاجرة لا تسقط بحال -إلاّ حدّ القتل أحياناً- إذا رُفعت إلى الحكام وأقيمت البيّنة، فتوقع على المذنب التائب والمصرّ على السوء. وإقامة هذه الحدود على مستحقّيها طاعة لله يُرجى بها رضاه وجنته .

قال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة] .



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة] .

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال] .

وهي كذلك تنفع المذنب، لأنها تطهره من الإثم فلا يؤاخذ بذلك الذنب في الآخرة. كما قال ﷺ للمتلاعنين: {عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة}. وتنفع كذلك المجتمع لأنها تردع الفساق وتسدّ باب الفتنة وتمنع من انتشارها. كما قال عثمان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" .

وأعظم جريمة تقع من الإنسان بعد "الردة" التي هي إفساد الدين هي جريمة القتل وإفساد النفس بغير حق. فأنزل الله حدّ القتل وهو القصاص لحفظ النفوس قال الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة] .

وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة] .

وفي الحديث الصحيح: {من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يودي وإما أن يُقاد} [متفق عليه]  
قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ "جعل الله هذا القصاص حياة ونكالا وعظة لأهل السفه والجهل من الناس، وكم من رجل قد همّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض" [الطبري] .

ويلي جريمة القتل جريمة "الزنا" في الإفساد إذ بها تختلط الأنساب وتهدم الأسر وتنشأ العداوات، فأنزل الله الجلد والرحم لئلا يجترأ أهل الفسوق -الذين لا يحجزهم إيمانهم- على فعلها .

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر أمام المهاجرين والأنصار: "فإن الرجم في كتاب الله حقّ على من زنى، إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان حبلّ والاعتراف" [متفق عليه] .

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السَّرْقَةِ الَّتِي هِيَ ظَلَمٌ وَإِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة] .

والنكال: هي العقوبة التي تكون عبرة وعظة للناس .

وقال عن "القذف": ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور] .

وجاء في السنة أن شارب الخمر كان يُجلد أربعين في عهد النبي ﷺ وأبي بكر ثم زاد عمر أربعين، أخرى تعزيراً لهم لما رأى أنهم لا يرتدعون بالأربعين فجعلها ثمانين، ووافقته الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك .

وقد أوجب الله تعالى في كتابه إقامة الدين أي حمل الناس على طاعة الله ورسوله. فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى] .

فإذا أصر فرد أو جماعة على فعل الحرام أو ترك الواجب فقد وجب على أولياء الأمور معاقبتهم، فإن قاتلوا قوتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. وقد قال تعالى عن المتعاملين بالربا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة] .

وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال] .

ومن العقوبات التي جاء بها الإسلام النفي والتغريب والهجران .

قال تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة] .

قال الإمام ابن تيمية في تفسير سورة النور ص: ٢٩: "وقد ذكر الشافعي وأحمد أن التغريب جاء في السنة في موضعين:

(أحدها): أن النبي ﷺ قال في الزاني إذا لم يحصن: "جلد مائة وتغريب عام" .

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

(والثاني) نفى المختئين فيما روته أم سلمة: "أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها محنت وهو يقول لعبد الله أخيها: إن فتح الله لك الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان. فقال النبي ﷺ: {أخرجوهم من بيوتكم} [البخاري] .

قال: قال ابن جريج: المختث هو هيت. وهكذا ذكره غيره. وقد قيل إنه هنب وزعم بعضهم أنه ماتع، وقيل: هوان. وروى الجماعة إلا مسلماً: "أن النبي ﷺ لعن المختئين من الرجال والمترجلات من النساء. وقال: {أخرجوهم من بيوتكم وأخرجوا فلاناً وفلاناً} يعني المختئين. وقد ذكر بعضهم أنهم كانوا ثلاثة: بهم وهيت وماتع على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكونوا يرمون بالفاحشة الكبرى، إنما كان تخنيثهم وتأنيثهم لينا في القول، وخضاباً في الأيدي والأرجل، كخضاب النساء ولعباً كلعبهنّ .

وفي سنن أبي داود عن أبي يسار القرشي عن أبي هاشم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ أتى بمختث وقد خضب رجله ويديه بالحناء، فقال: {ما بال هذا} أيينتم؟ فقيل: يا رسول الله يتشبه بالنساء، فأمر به فنفي إلى النقيع، فقيل: يا رسول الله ألا نقتله، فقال: {إني نهيته عن قتل المصلين} .

قال: ولهذا تنازع العلماء في نفي المحارب من الأرض: هل هو طرده بحيث لا يأوي في بلد أو حبسه أو بحسب ما يراه الإمام من هذا وهذا. ففي مذهب أحمد ثلاث روايات، الثالثة أعدل وأحسن. فإن نفيه بحيث لا يأوي في بلد لا يمكن لتفرق الرعية واختلاف همهم، بل قد يكون بطرده يقطع الطريق، وحبسه قد لا يمكن لأنه يحتاج إلى مؤنة طعام وشراب وحارس، ولا ريب أن النفي أسهل إن أمكن. وقد روي: "أن هيتاً لما اشتكى الجوع أمره النبي ﷺ أن يدخل المدينة من الجمعة إلى الجمعة يسأل ما يقيته إلى الجمعة الأخرى". ومعلوم أن قوله: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ لا يتضمن نفيه من جميع الأرض، وإنما هو نفيه من بين الناس، وهذا حاصل بطرده وحبسه. وهذا الذي جاءت به الشريعة من النفي وهو نوع من الهجرة أي هجره. وليس هذا كنفي الثلاثة الذين خلفوا، ولا هجرهم كهجرهم فإنه منع الناس من مخالطتهم ومخاطبتهم حتى أزواجهم، ولم يمنعهم من مشاهدة الناس وحضور مجامعهم في الصلاة وغيرها. وهذا من النفي المشروع، فإن النفي المشروع مجموع من الأمرين. وذلك أن الله خلق الآدميين محتاجين

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

إلى معاونة بعضهم بعضاً على مصلحة دينهم ودنياهم، فمن كان بمخالطته للناس لا يحصل منه عونٌ على الدين، بل يُفسدهم ويضرهم في دينهم ودنياهم استحق الإخراج من بينهم، وذلك أنه مضرّة بلا مصلحة، فإن مخالطته لهم فيها فسادهم وفساد أولادهم، فإن الصبي إذا رأى صبيّاً يفعل شيئاً تشبّه به وصار بسيرته مع الفساق

إلى أن قال:

"وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع وهجران الفساق وهجران من يخالط هؤلاء كلّهم أو يعاونهم، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه فإنه يعاقب بهجرهم له، لما لم يعاونهم على البرّ والتقوى. فالزنا واللواطية وتاركي الجهاد وأهل البدع وشربة الخمر، هؤلاء كلّهم ومخالطتهم مضرّة على دين الإسلام وليس فيهم معاونة لا على برّ ولا تقوى، فمن لم يهجرهم كان تاركاً للمأمور فاعلاً للمحذور، فهذا ترك المأمور من الاجتماع وذلك فعل المحذور فعوقب كل منهما بما يناسب جرمه.

فإن العقوبة إنما تكون على ترك المأمور أو فعل المحذور. كما قال الفقهاء: إنما يشرع التعزير في معصية ليس فيها حدّ، فإن كان فيها كفارة فعلى قولين في مذهب أحمد وغيره.

قال: وما جاءت به الشريعة من المأمورات والعقوبات والكفارات وغير ذلك، فإنه يفعل منه بحسب الاستطاعة. فإن لم يقدر المسلم على جهاد جميع المشركين فإنه يجاهد من يقدر على جهاده. وكذلك إذا لم يقدر على عقوبة جميع المعتدين فإنه يعاقب من يقدر على عقوبته، فإذا لم يمكن النفي والحبس عن جميع الناس، كان النفي والحبس على حسب القدرة، مثل أن يحبس بدار لا يباشر إلا أهلها لا يخرج منها. أو أن لا يباشر إلا شخصاً أو شخصين، فهذا هو الممكن فيكون هو المأمور به، وإن أمكن أن يجعل في مكان قد قلّ فيه القبيح ولا يعدم بالكلية كان ذلك هو المأمور به. فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فالقليل من الخير خيرٌ من تركه ودفع بعض الشرّ خيرٌ من تركه.

قال: ومما يدخل في هذا أن عمر رضي الله عنه نفي نصر بن الحجاج من المدينة ومن وطنه إلى البصرة لما سمع تشييب النساء به وتشبيهه بهنّ، وكان أولاً قد أمر بأخذ شعره ليزيل جماله الذي كان يفتن به النساء. فلما رآه بعد ذلك من أحسن الناس وجنتين غمّه ذلك، فنفاه إلى البصرة.

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

فهذا لم يصدر منه ذنبٌ ولا فاحشة يعاقب عليها، لكن كان في النساء من يفتن به، فأمر بإزالة جماله الفاتن. فإن انتقاله عن الوطن مما يضعف همته وبدنه ويعلم أنه معاقب. وهذا من باب التفريق بين الذي يخاف عليه الفاحشة والعشق قبل وقوعه وليس من باب المعاقبة. وقد كان عمر رضي الله عنه ينفى في الخمر إلى خير زيادة في عقوبة شارها.

### ما في قصة الثلاثة من الفوائد:

قصة الثلاثة ذكرت في القرآن في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة]

والثلاثة هم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وكانوا قد تخلّفوا عن رسول الله ﷺ لما غزا في السنة التاسعة يريد نصارى العرب والروم، فوصل "تبوك"، ولم يكن تخلّفهم عن نفاق، ولم يكن لهم عذر في التخلّف، وكانوا من الأنصار الذين بايعوا النبي ﷺ على الإسلام والجهاد، وأخذ منهم العهد والميثاق على نصره.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة]

ولذلك هجرهم النبي ﷺ والمؤمنون، ثم أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ - الْآيَةِ﴾ وأخبر أنه تاب عليهم بعد خمسين ليلة من هجران النبي ﷺ إياهم.

والقصة مروية في الصحيحين بتفصيل تام عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أحد الثلاثة. وفيها فوائد كثيرة، نذكر منها ما له علاقة بموضوع هجران أهل الذنوب. من ذلك:

(١) مشروعية الهجران العام، وهو أن يأمر الإمام جميع المسلمين بهجران من استحق الهجران، فيهجره كل المسلمين. قال كعب رضي الله عنه "ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلّف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكّرت في نفسي الأرض فما هي آلتى أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة". أما مشروعية الهجران الفردي فيؤخذ من أدلة أخرى، كهجران النبي ﷺ نساءه شهراً كما جاء في الصحيح. وكذلك

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

هجرانه لزئب بنت جحش شهرين وبعض شهر. وهجرت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن الزبير مدة طويلة. وهجر ابن مسعود رضي الله عنه الذي رآه يضحك في الجنازة. وهجر أبو بكر أخاه زياداً.

وجاء في الموطأ: أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها. فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل. فقال له معاوية: "ما أرى بمثل هذا بأساً. فقال أبو الدرداء: "من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها".

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد: أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنكر على معاوية شيئاً فقال: "لا أساكنك بأرض أنت بها"، ورحل إلى المدينة فقال عمر رضي الله عنه: "ما أقدمك؟" فأخبره، فقال: "ارجع مكانك"، فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك. وكتب إلى معاوية لا إمارة لك عليه".

(٢) ومنها: أن القصة دلت على جواز معاقبة المسلم المذنب المعترف بذنبه بالهجران، حتى لا يفكر مرة أخرى في العودة إلى مثل ذلك الذنب. ولتكون هذه المعاقبة الشاقة عبرة وعظة لغيره، وفيها الرد على من زعم أنه لا يجوز هجران المسلم مادام معترفاً بذنبه ويعلم التوبة منه، وإنما يستحق الهجران الذي لا يعترف بذنبه. ومن قول كعب رضي الله عنه يظهر لك خلاف ما زعموا، وأنه اعترف بذنبه وتقصيره أمام النبي ﷺ ومع ذلك أمر ﷺ بهجره تأديباً له، قال كعب: "إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أوتيت جدلاً. ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ. ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك". فقال رسوا الله ﷺ "{أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى فيك}" وقال كعب: "ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد؟" قالوا: نعم، رجلان قالوا مثل ما قلت فقليل لهما مثل ما قيل لك. فقلت منهما؟ قالوا: "مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي".

(٣) ومنها: أن القصة دلت على أنه لا يجب على الإمام موعظة المذنبين مطلقاً، وأن له أن يأمّر بهجران المذنب إذا رأى استحقيقه لذلك قبل الموعظة وتقديم التصح، لأن الهجران عقوبة

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

على ذنب قد وقع ومضى. فإن أولئك الثلاثة لما تخلفوا عن الجهاد، واعترفوا بعد عودة النبي ﷺ بذنبهم هجرهم بدون تقديم النصح والإنذار الأخير لهم، مع أن مخالفتهم كانت المخالفة الأولى التي صدرت منهم مع ما كان لهم من أعمال جلييلة وسوابق حميدة ..

٤ - ومنها : أن القصة تفيدنا بأن المؤمن التقىي يجب عليه أن يكون منصفاً من نفسه، وأن يصبر على عقوبة ذنبه، من هجران وغيره، إذا عوقب بذلك، كما فعل الثلاثة رضى الله عنهم .. لا كما يفعله ضعفاء الإيمان الذين لا يجتنبون كبائر الإثم ثم لا يصبرون على نتائجها ويزدادون رجساً إلى رجسهم، ويسبئون إلى المسلمين ويصفونهم بالظلم وانعدام الرحمة والإعراض عن تقديم النصح لعباد الله . وربما عدد وذكر أحدهم حسناته وقال: "لستُ خليقاً بتلك المعاملة، وأنا الذي فعلت كذا وفعلت كذا". يقول ذلك وقد غاب عنه أنه لا يوازي كعب بن مالك رضى الله عنه في الفضل ، الذي شهد بيعة العقبة الكبرى وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وناصح عن الإسلام بسيفه وشعره الذي كان شديد الوقع على المشركين، وصاحبيه الذين كانا من أفاضل الأنصار ووصفهما بأن: "فيهما أسوة".

٥ - ومنها : أن القصة دلّت على أن للهجران مراتب بعضها أشدّ من بعض. وأن ما عوقب به الثلاثة كان دون ما عوقب به المخشّيون الذين أُخرجوا من المدينة إخراجاً، حتى رُوي أن أحدهم اشتكى من الجوع فأذن له الدخول في يوم الجمعة على ألا يعود حتى الجمعة الأخرى، وذلك لضررهم وإفسادهم الكبير إذا ساكنوا المسلمين وهم على حالهم، أما الثلاثة فلم يكن هناك ما يتوقع من جهتهم من إفساد للأخلاق والسلوك، ولذلك مُنع المسلمون من مخاطبتهم ومخالطتهم حتى شقّ ذلك عليهم. فإن قيل: قد نهي النبي ﷺ عن مخاطبتهم كما ذكر في حديث كعب، أما النهي عن المخالطة كالأخذ والعطاء وإدخال البيوت فلا دليل عليها..

فالجواب: "أن الكلام هو مفتاح المخالطة وبدائيتها، فإذا جاء النهي عن الكلام فقد نهي عن المخالطة، كما فهم الصحابة رضوان الله عليهم".

قال كعب: "حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبّ الناس إليّ، فسلمتُ عليه فو الله ما ردّ عليّ السلام. فقلتُ: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدتُ له فنشدته فسكت. فعدتُ له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناى. وتولّيت حتى تسوّرت الجدار."

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

٦- ومنها : أن القصة دلت على أن المسلم المهجور لا يؤمر بشهود صلاة الجماعة إن تخلف عنها، ولا يمنع كذلك من دخول المساجد العامة لصلاة الجماعة إذا أراد ذلك، فقد كان كعب رضي الله عنه يدخل المسجد العام يحضر صلاة المسلمين ويُسلم على النبي ﷺ ، بينما قعد صاحبه في بيوتهما، فلم يؤمرا بشهود الصلاة، ولم ينه كعب عن الشهود .

٧- ومنها : أن الهجران ليس إعانة على الضلال كما يدّعيه بعض الناس، وإنما هو عقوبة للنكال وابتلاء وتمحيص لأهل الإيمان. فإن تعرّض المسلم المهجور للفتنة وطمع أهل الشرك في استمالته، فليس على المسلمين التدخل في الموقف وإعانتته وإدخاله في الصف مرةً أخرى، بل يوكل إلى إيمانه، فإن كان في الأصل مؤمناً حقاً فإنه سيثبت ويخرج من المحنة سالماً بإذن الله. وإن كان مدخولاً في إيمانه ينقصه اليقين فسينكشف ضعفه ونفاقه، وينقلب على عقبيه، خسر الدنيا والآخرة. وخير ما يمثّل موقف المؤمن الحقّ هو موقف كعب بن مالك رضي الله عنه لما جاءت الرسالة من ملك غسان يدعو إليه ويرغبه فيما عنده. جاء في حديثه: "فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: "من يدلّ علي كعب بن مالك؟" فطفق الناس يشيرون له، حتى جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك. فقلتُ لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء. فتيّمتُ بها التنور فسجرت به".

قال الحافظ في الفتح: "ودلّ صنيع كعب هذا على قوّة إيمانه ومحّبته لله ولرسوله، وإلاّ فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب. هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة، ولا سيما بعد الاستدعاء والحثّ على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريه ونسيه، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوي عنده يقينه، ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دُعي إليه من الراحة والنعيم حبّاً في الله ورسوله، كما قال ﷺ : {وأن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما} وعند ابن عائد أنه شكّا حاله إلى رسول الله ﷺ وقال: "ما زال إعراضك عني حتى رغب فيّ أهل الشرك". [الفتح: ص ١٢١] .



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

٨- ومنها : أن للإمام الاستثناء وإخراج بعض المسلمين من الأمر العام بالهجران، كالأزواج والأولاد والخدم. كما فعل النبي ﷺ بالثلاثة، فإن النهي عن كلامهم لم يكن يتناول أزواجهم. كما قال الحافظ في الفتح عند شرح الحديث: "قال: قوله (فقال لي بعض أهلي) لم أقف على اسمه. ويشكل مع نهى النبي ﷺ عن كلام الثلاثة، ويُجاب بأنه لعلة بعض ولده أو من النساء، ولم يقع النهي عن كلام الثلاثة للنساء اللاتي في بيوتهم، أو الذي كلمه بذلك كان منافقاً، أو كان ممن يخدمه ولم يدخل في النهي". [الفتح: ص ١٢١].

ويدلّ على الاستثناء ما دار بين كعب رضي الله عنه والرسول الذي أرسله إليه رسول الله ﷺ. قال كعب: "حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلّقها أم ماذا أفعل؟. قال: لا بل اعتزلها ولا تُقرّبها. وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك. فقلتُ لامرأتي: إلحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر...".

٩- ومنها : أن في القصة ردّاً على من ظنّ أن هجران القريب المذنب يعارض أوامر الله بصلة الأرحام. إذ أن فيها أن كل المسلمين -إلا من وقع عليه الاستثناء- هجروا الثلاثة، أي أن بني سلمة كلهم هجروا أحاهم وشاعرهم كعب بن مالك. ولم يصب من ظنّ هذا الظنّ، لأن الله الذي أنزل الأمر بصلة الأرحام هو الذي أنزل الأمر بمعاقبة أهل المعاصي، قائلاً: ﴿ولا عدوان إلا على الظالمين﴾. وأن إيقاع العقوبة لمستحقّيها من عدل الله الذي يجب إقامته على القريب والبعيد. وأولئك العصاة أسقطوا ضيّعوا حقّهم لما ضيّعوا حقّ الله وانتهكوا محارم الله. وعند ما كان النبي ﷺ وأصحابه يقاتلون أقرباءهم وذوي أرحامهم من الكفار كانوا مطيعين لله واصلين لأرحامهم. وكذلك لما كان النبي ﷺ يعاقب العصاة ويقيم حدود الله على القريب والبعيد وقال للمسلمين: {وأيّم الله لو أن فاطمة بنت محمّد سرقَتْ لقطعْتَ يدها} كان مطيعاً لله واصلّاً لرحمه كما أمر الله. وكذلك كان عمر رضي الله عنه لما جلد ابنه وجلد صهره "قدامة بن مظعون". وقد ثبت أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جلد أخاه لأمه "الوليد بن عقبة" لما شرب الخمر. وكما أن إنزال هذه العقوبات على مستحقّيها لا يعارض أمر الله بصلة الأرحام، فإن هجران المسلم من استحقّ الهجران لا يعارض أمر الله بصلة الأرحام وقد هجر النبي ﷺ

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

نسائه شهراً وهجر زوجته زينب بنت جحش شهرين وهجرت عائشة ابن أختها "عبد الله بن الزبير" زمناً طويلاً، وهجر أبو قتادة كما رأينا ابن عمه كعب بن مالك اقتداءً بأمر النبي ﷺ ، ولما تسوّر جداره وأنشده بالله لم يزل ساكتاً عنه حتى رجع وقد فاضت عيناه بالدموع. وهجر أبو بكر أخاه زياداً، وهجر سعيد بن المسيب أباه .

١٠- ومنها : أن المرأة المسلمة عضوٌ في الجماعة المسلمة ولا تتخلّف عن سيرها، فإذا أذنب زوجها وارتكب كبيرة وجب عليها أن تكره فعله وأن تهجره كما هجره المسلمون .. وكذا إذا ارتدّ أو نافق وجب عليها أن تنبرأ منه. وأن الكفاءة في الدين معتبرة في النكاح. قال الله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور].

وقد دلّت الآية على أن الرجل إذا صار زانياً فإن على زوجته أن تختار أحد الطريقين: (الأول) أن تحافظ على إيمانها، فتبغضه في الله وتهجره، وحينئذ يفسخ عقد نكاحهما لفقدان شرط "الكفاءة في الدين" .

(الثاني) أن تبقي تحته وتكون زانية مثله وإن لم تباشر رجلاً غيره . ومثل ذلك إذا سرق الزوج وبقيت تحته صارت "سارقة" مثله وإن لم تسرق هي شيئاً. وإذا شرب الخمر وبقيت تحته صارت شاربة مثله. وإذا نافق وعلمت بنفاقه ثم بقيت تحته صارت منافقة مثله وإن كانت صوامة قوامة. وإذا ارتدّ الزوج وبقيت تحته صارت مرتدة مثله . وقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ فيه حصر الخبيثات للخبيثين وبيان انتفاء وجود خبيثة تحت طيب، وأن من تزوّج خبيثة فقد خرج من الطيبين ودخل في الخبيثين. وفيه حصر الخبيثين للخبيثات وبيان انتفاء وجود طيب تحته خبيثة، وأن المرأة إذا تزوّجت بخبيث فقد خرجت من الطيبات ودخلت في الخبيثات .

قال الإمام ابن تيمية ( في الفتاوى تفسير سورة (النور)

"وذلك أن الزانية فيها إفساد فراش الرجل، وفي مناكتها معاشرة الفاجرة دائماً ومصاحبتهما. والله قد أمر بهجر السوء وأهله ما داموا عليه، وهذا المعنى موجود في الزاني، فإن الزاني إن لم يفسد فراش امرأته كان قرين سوء لها" .

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال: "ولهذا اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين وعلى ثبوت الفسخ بفوات هذا الكفاءة، واختلفوا في صحة النكاح بدون ذلك. وهما قولان مشهوران في مذهب أحمد وغيره".

قال: "فأما تحريم نكاح الزانية فقد تكلم فيه الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره، وفيه آثار عن السلف وإن كان الفقهاء قد تنازعوا فيه، وليس مع من أباحه ما يعتمد عليه".

قال: وقد مضت سنة النبي ﷺ بالتفريق بين المتلاعنين، سواء حصلت الفرقة بتلاعنها أو احتاجت إلى تفريق الحاكم، أو حصلت عند انقضاء لعان الزوج. لأن أحدهما ملعون أو خبيث. فاقترانهما بعد ذلك يقتضي مقارنة الخبيث الملعون للطيب. وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين حديث المرأة التي لعنت ناقة لها، فأمر النبي ﷺ فأخذ ما عليها وأرسلت، وقال: {لا تصبحنا ناقة ملعونة}.

وفي الصحيحين عنه أنه لما اجتاز بديار ثمود قال: {لا تدخلوا على المعذنين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لئلا يصيبكم ما أصابهم} فنهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب، وهكذا السنة في مقارنة الظالمين والزناة وأهل البدع والفجور وسائر المعاصي، لا ينبغي لأحد أن يقارنهم ولا يخالطهم إلا على وجه يسلم به من عذاب الله عز وجل. وأقل ذلك أن يكون منكراً لظلمهم ماقثاً لهم شائناً ما هم فيه بحسب الإمكان. كما في الحديث {من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان}.

وقال بعد أن ذكر حديث أبي هريرة في بيع الأمة إن زنت ولو بضيفير: "والإماء اللاتي يفعلن هذا تكون عامتهن للخدمة لا للتمتع فكيف بأمة التمتع وإذا وجب إخراج الأمة الزانية عن ملكه فكيف بالزوجة الزانية والعبد والمملوك نظير الأمة. ويدل على ذلك كله ما رواه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: {أنه لعن من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً}. فهذا يوجب لعنة كل من آوى محدثاً سواء كان إحداثه بالزنا أو السرقة أو غير ذلك. وسواء كان الإيواء بملك يمين أو نكاح أو غير ذلك، لأن أقل ما في ذلك تركه إنكار المنكر" اهـ.

١١- ومنها: أن القصة تفيدنا ما يطلب من الجماعة المسلمة من التماسك والضبط والجد في تنفيذ الأوامر، كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم عندما جاء النهي عن كلام الثلاثة.

قال سيد قطب رحمه الله: "هكذا كان الضبط وهكذا كانت الطاعة في الجماعة المسلمة -على الرغم من كل ما وقع من خلخلة بعد الفتح ومن بلبلة في ساعة العسرة- نهي رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة. فلا مخلوق يفتح فمه بكلمة، ولا مخلوق يلقي كعباً بأنس، ولا مخلوق يأخذ منه أو يعطى، حتى ابن عمه وأحب الناس إليه، وقد تسور عليه داره لا يردّ عليه السلام ولا يجيبه عن سؤال، فإذا أجاب بعد الإلحاح لم يطمئن لهفته ولم يسكن قلقه إنما قال: "الله ورسوله أعلم" [في ظلال القرآن].



## {المرتبة السادسة} أهل الإيمان والصلاح .

لا يحلّ للمسلم أن يهجر أحداً من المؤمنين الصّالحين فوق ثلاث ليال. وإليك أدلة التحريم نقلاً من "رياض الصّالحين" للإمام النووي قال: "باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور أو تظاهر بفسق أو نحو ذلك".

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً. ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة } [متفق عليه].

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام } [متفق عليه]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا } [مسلم].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلّون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم } [مسلم].

التحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار } [رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم].

وعن أبي خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي ويقال السلمي الصحابي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: { من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه } [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { لا يحلّ لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرّت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فإن ردّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يردّ عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة } [رواه أبو داود بإسناد حسن].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

قال أبو داود: "إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا في شيء".

وقال النووي في شرح مسلم: في حديث عبد الله بن مغفل: "إن قريباً لعبد الله بن مغفل حذف فنهاه، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الحذف، وقال: {إنها لا تصيد صيداً ولا تنكأ عدواً وتكسر السن وتفقأ العين}. قال: فعاد فقال: "أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم تخذف، لا أكلمك أبداً".

قال -أي النووي-: فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائماً، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائماً، وهذا الحديث مما يؤيده مع سائر له كحديث كعب بن مالك وغيره".

وقال الخطابي في معالم السنن في حديث كعب بن مالك: "ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة". فيه من العلم: أن تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاثة إنما هو فيما يكون بينهما من قبل عتب وموجدة أو لتقصير يقع في حقوق العشرة ونحوها دون ما كان ذلك من حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على ممر الأوقات والأزمان ما لم يظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق".

وقال في موضع آخر: "فأما الهجران فأقل من ثلاث، فإنما جاز ذلك في هجران الرجل أخاه لعتب وموجدة أو لنوبة تكون منه، فرخص في مدة الثلاث لقلتها وجعل ما وراءها تحت الحظر".

وقال الحافظ ابن حجر: أراد البخاري بإيراد أثر عائشة هذا أن يبين أن حديث النهي عن الهجرة ليس على عموم بل هو مخصوص بمن هجر بغير موجب لذلك". [الفتح: ١٠/٤٩١].

وقال ابن عبد البر: "حديث النهي عن الهجرة مخصوص بحديث كعب بن مالك"، حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يهجره ولا يكلموه هو "وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة" قال: وأجمعوا على جواز الهجران فوق ثلاثة لمن خاف من مكالمته ما يدخل منه على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فقد رخص له في مجانبته وبعده. قال: ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية" (التمهيد: ٦/١١٨).

## إيضاحات حول الزجر بالمهجران

وسئل الإمام ابن تيمية (رحمه الله) عن المهجران فأجاب:

المهجر الشرعي نوعان :

(أحدهما) بمعنى الترك للمنكرات و (الثاني) بمعنى العقوبة عليها :

(فالأول) هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام] .

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء] .

فهذا يُراد به أن لا يشهد للمنكرات بغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر ويجلس عندهم. وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم وأمثال ذلك بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم أو حضر بغير اختياره ولهذا يُقال حاضر المنكر كفاعله. وفي الحديث: {من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر وهذا المهجر من جنس هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات كما قال ﷺ: {المهاجر من هجر ما نهى الله عنه} ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ .

(النوع الثاني) المهجر على وجه التأديب وهو هجر من يظهر المنكرات يُهجر حتى يتوب منها كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ولم يُهجر من أظهر وإن كان منافقاً. فهنا المهجر بمنزلة التعزير.

إلى أن قال: "وهذا المهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقتلتهم وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راححة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشرّ وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشرّ، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راحجة على مصلحته لم يشرّع المهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر. والمهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم". [مجموع الفتاوى: م ٢٨/ص: ٢٠٣-٢٠٦].

## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وسئل كذلك عن: مسلم بدرت منه معصيته في حال صباه توجب مهاجرته ومجانبته فقالت طائفة منهم: يستغفر الله ويصفح عنه ويتجاوز عنه عن كل ما كان منه. وقالت طائفة أخرى: لا تجوز أخوته ولا مصاحبته، فأبي طائفتين أحق بالحق؟.

**فأجاب :** لا ريب أن من تاب إلى الله توبة نصوحاً تاب الله عليه. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. أي لمن تاب.

وإذا كان كذلك وتاب الرجل، فإن عمل عملاً صالحاً سنة من الزمان ولم ينقض التوبة، فإنه يقبل منه ذلك، ويجالس ويكلم. وأما إذا تاب ولم تمض عليه سنة فللعلماء فيه قولان مشهوران. منهم من يقول: في الحال يجالس وتقبل شهادته. ومنهم من يقول: لا بد من مضي سنة. كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ بن عسل -وهذه من مسائل الاجتهاد- فمن رأى أن تقبل توبة هذا التائب ويجالس في الحال قبل اختباره فقد أخذ بقول سائغ. ومن رأى أنه يؤخر حتى يعمل صالحاً ويظهر صدق توبته فقد أخذ بقول سائغ. وكلا القولين ليس من المنكرات". [الفتاوى: م ٢٨/ص ٢١٤].

**وقال أيضاً عن كيفية إنكار المنكرات :**

"فإن كان الرجل متسترًا بذلك وليس معلناً أنكر عليه سرّاً وستر عليه كما قال النبي ﷺ: {من ستر عبداً ستره الله في الدنيا والآخرة} إلا أن يتعدى ضرره، والمتعدى لا بد من كفّ عدوانه، وإذا ناهى المرء فلم ينته فعل ما ينكف به من هجر وغيره، إذا كان ذلك أنفع في الدين.

وأما إذا أظهر الرجل المنكرات، وجب الإنكار عليه علانية ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره، فلا يسلم عليه ولا يردّ عليه السلام، إذا كان الفاعل لذلك متمكناً من ذلك من غير مفسدة راجحة، وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميّناً كما هجروه حيناً إذا كان في ذلك كفّ لأمثاله من المجرمين، فيتركون تشييع جنازته، كما ترك النبي ﷺ على غير واحد من أهل الجرائم ولما قيل لسمرة بن جندب: إن ابن مات البارحة. فقال: لو مات لم أصل عليه: يعني لأنه أعان على قتل نفسه، فيكون كقاتل نفسه، وقد ترك النبي ﷺ الصلاة على قاتل نفسه.



## إيضاحات حول الزجر بالهجران

وكذلك هجر الصحابة الثلاثة الذين ظهر ذنبهم في ترك الجهاد الواجب حتى تاب الله عليهم. فإذا أظهر التوبة أظهر له الخير". [الفتاوى: م ٢٨/ص ٢١٧].

وقال الإمام محمد بن الوهاب رحمه الله: "وأرى هجر أهل المعاصي والبدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله". [المولاة والمعاداة في الله].



## الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة .....	١
إيضاحات حول الزجر بالهجران .....	٧
المرتبة الأولى: أهل الردّة .....	١٠
المرتبة الثانية: أهل الشرك .....	١١
المرتبة الثالثة: أهل النفاق .....	١٢
من أنواع المنافقين .....	١٣
الإجراءات والوسائل المستخدمة لدرء مفسد المنافقين .....	٢١
{أولاً} الوعظ والإرشاد .....	٢١
{ثانياً} الإعراض عنهم وعن مجالسهم .....	٢١
{ثالثاً} كشف مكائدهم والتحذير من شرهم .....	٢٣
{رابعاً} رفع التكريم عنهم .....	٢٨
{خامساً} معاقبتهم بالقتل .....	٣١
بيان أربع مسائل اشتهت على بعض الناس .....	٣٤
الأولى: يقول بعض الناس إن المسلمين الذين وحّدوا الله وتبرّؤا من الشرك و .....	٣٤
الثانية: يقول البعض: أن المسلم الذي برئ من الشرك وأهله إذا وقع في .....	٣٦
الثالثة: يقول بعض الناس لا يمكن وجود منافقين إلّا في دار الإسلام .....	٣٧
الرابعة: يقول البعض: "لا يمكن التمييز بين المنافق وبين المسلم المذنب .....	٤١
المرتبة الرابعة: أهل البدع .....	٥٠
(الأولى) خطورة البدع .....	٥٨
(الثانية) ضرورة هجران أهل البدع .....	٥٩
(الثالثة) توبة المبتدع .....	٦٠
(الرابعة) تكفير أهل البدع .....	٦١

٦٥	(الخامسة): تعظيم السنة .....
٧٤	المرتبة الخامسة: أهل الكبائر .....
٧٩	ضرر الذنوب على الفرد والجماعة .....
٨٣	مشروعية العقوبات .....
٨٨	ما في قصة الثلاثة من الفوائد .....
٩٦	المرتبة السادسة: أهل الإيمان والصلاح .....
١٠١	الفهرس .....

قال الإمام ابن تيمية في تفسير سورة النور ص: ٢٩ :  
{وذلك أن الله خلق آدميين محتاجين إلى معاونة بعضهم  
بعضاً على مصلحة دينهم ودنياهم، فمن كان بمخالطته  
للناس لا يحصل منه عونٌ على الدين، بل يُفسدهم  
ويضرهم في دينهم ودنياهم، استحق الإخراج من بينهم،  
وذلك أنه مضرّ بلا مصلحة}.